

49

روايات عالمية للجيب



Looloo

www.dvd4arab.com

بقلم : مسارك توين
ترجمة وإعداد
د. أحمد خالد توفيق

حكايات مارك توين

روايات عالمية للجميل

سلسلة جديدة ، تقدّم لك أروع ما يزخر به الأدب
العالمى ، فى مختلف صنوفه ..

من الألغاز البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..

من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..

من الفروسية إلى دنيا الأساطير ..

ومن الشرق إلى الغرب ..

وإلى الحضارة ..

وإليك ..

د. نبيل فاروق

المؤلف



تكلّمنا بشيء من التفصيل عن
(مارك توين) فى الكتيب رقم ١٨
من سلسلة (فانتازيا) ، وأغلب
الظن أن من يقرءون الكتيب الحالى
قد قرءوا الكتيب الآخر ؛ لكننا - من
أجل من جاءوا متأخرين - نحكى
بعض الأشياء عن أهم وأعمق
وأظرف أدباء أمريكا .. وهذا الكلام

ليس من عندى ، ولكن سبق أن قاله الأديب الأمريكى العظيم
(إرنست هيمنجواى) .

(صمويل لانجهورن كليمنس) هو الاسم الأصلى له .. ولد
فى ولاية (ميسورى) فى نوفمبر عام ١٨٣٥ ، وسرعان
ما انتقلت أسرته إلى قرية (هاتيبال) التى خلدها فى الأدب
الأمريكى ، وتوفى أبوه وهو فى سن العاشرة ، ليبدأ الصبى
كفاحه المضنى من أجل البقاء ، وهو الكفاح الذى رسم كل
خط فى أدبه فيما بعد .. وأكثر شخصيات كتبه مارست
الوجود فعلاً وقابلها فى مشوار حياته الشاق ..

عمل الصبى عامل طباعة ، ثم استجاب لحلم طالما راوده ،
هو أن يعمل على قارب بخارى فى نهر (المسيسبى) ، وكانت له
مع النهر قصة حب خلدها فى كتابه (الحياة على المسيسبى) ..

بعد هذا حارب فى أثناء الحرب الأهلية عام ١٨٦١ ، وهى
بدورها خبرة لم ينسها قط : « الحرب هى قتل مجموعة من
الأغراب الذين لا تشعر نحوهم بأى عدااء ، ولو قابلتهم فى
ظروف أخرى لقدمت لهم العون أو طلبته منهم .. »

بعد انتهاء الحرب عمل فى الصحافة فى جريدة محلية
بـ (فرجينيا) ، واتخذ اسم (مارك توين) وهو مصطلح بحرى
مغناه (عَلم على اثنين) يعود لأيام الملاحة فى (المسيسبى) ..

كانت حياة (مارك توين) سلسلة من المصائب ؛ فهو
الطفل المشاغب الذى لا يقول إلا ما يريد مهما كان قاسياً
أو مريراً ، لذا ظفر بعداء الجميع .. وهو الاقتصادى الفاشل
الذى يطارده الإفلاس فى كل لحظة ، وهو البائس الذى رأى
أخاه يحترق فوق سفينة فى البحر ، حتى إن شعره شاب فى
دقائق بعدها .. ولم تكن هذه آخر مآسى حياته ..

لقد مات ابنه الأول ، وتوفيت أعز بناته ، وتوفيت زوجته ..

كان لهذا أثره العجيب فى أدبه ؛ لقد ازداد سخرية ..

سخرية مريرة قاسية ، ولسان يصعب إسكاته مهما حاولت ،
وبرغم هذا كله كان (توين) يحتفظ بالآراء الأكثر صراحة
وقسوة لنفسه ، وكان يكتب في كل موضوع كتابين : كتاباً
يخفيه في درجه ، وكتاباً يعرضه على الناس ..

وكانت شعبية (توين) تتزايد حتى إنه من الكتاب القلائل
الذين كانوا يقدمون حفلات قراءة جماعية ، يشتري الناس
التذاكر لها ، فقط كي يجلسوا في مسرح كبير ليصغوا إلى
(توين) وهو يتلو ما كتبه ..

إن قصصه هي مرآة صادقة شفافة للمجتمع الأمريكي ..
شفافة إلى درجة أنها صارت عالمية ، وغدا الناس جميعاً
يستمتعون بحق بأدب هذا الأديب العظيم ، مهما تباينت
ثقافتهم وأسنتهم ..

وفي عام ١٩١٠ توفي (توين) ، بعدما رأى - في نفس
الليلة - مذنّب (هالي) يشق السماء ، وهو ذات المذنّب الذي
شق السماء ليلة ولادته ، وبشكل ما كان (توين) يتوقع
ويرجو أن يمتد به الأجل حتى يراه مرة ثانية وأخيرة !

د. / أحمد خالد

أهم كتب (مارك توين) :

- الضفدع الوثاب من مقاطعة (كالافيراس) (١٨٦٥) .
- أبرياء بالخارج (١٨٦٩) .
- مغامرات توم صوير (١٨٧٦) .
- متشرد بالخارج (١٨٨٠) .
- الأمير والفقير (١٨٨٢) .
- الحياة على المسيسيبي (١٨٨٣) .
- مغامرات هاكلبري فان (١٨٨٤) .
- شمالي في بلاط الملك آرثر (١٨٨٩) .
- نحو خط الاستواء (١٨٩٧) .
- الرجل الذي أفسد (هادلبرج) (١٨٩٩) .
- صلاة الجندي (١٩٠٥) .

المصادر :

- ديل كارنيجي : الخالدون . مطبوعات كتابي (٣) .
- فؤاد دواره : هكذا كتبوا . الدار المصرية للتأليف والترجمة
يونيو ١٩٦٦ .
- شبكة الإنترنت ..

ملحوظة :

يمكن للأصدقاء المهتمين بقراءة (مارك توين) بالإنجليزية
أن يجدوا أكثر وأهم أعماله على عناوين الإنترنت التالية :

<http://www.ibiblio.org/gutenberg/cgi-bin/sdb/t9.cgi/t9.cgi>

<http://www.gutenberg.org/index/by-author/tw0.html>

الرجل الذى أفسد (هادلبرج)

1

منذ أعوام طويلة ، كانت (هادلبرج) أكثر المدن استقامة وأمانة فى المنطقة .. وقد حافظت على هذه السمعة بلا تلوث لمدة ثلاثة أجيال . وكانت البلدة فخورة بهذه السمعة إلى حد أنها كانت تعلم الأمانة لأجيال من أطفالها الرضع فى المهد .

ظلت الإغراءات بعيدة عن هؤلاء القوم ، مما جعل أمانتهم تزداد صلابة وقوة .. وكانت البلدان الأخرى تغار من هذا التفوق .. وإن راحت تقول إن هذا كله أمر تافه . لكن الجميع أجمع على أن (هادلبرج) مدينة غير قابلة للإفساد .. وأن قول أى شاب إنه من (هادلبرج) حين يفارقها بحثاً عن الفرص ، يعنى قبوله فى أى وظيفة ..

لكن حدث أن (هادلبرج) تسببت فى مضايقة غريب عابر .. والسبب هو أن (هادلبرج) كانت بلدة مكتفية ذاتياً .. ولم تبال لحظة بأراء الأعراب .. وإن كان من الحكمة عمل استثناء لهذا الغريب بالذات ؛ لأنه كان من الطراز الذى يحتفظ بالمرارة فى قلبه ويحب الانتقام ، وقد أمضى عاماً كاملاً يفكر فى طريقة الانتقام .. وكانت أفضل خطته تؤدى على الأكثر عدداً غفيراً من الناس .. لكنه كان يريد ..

خطة تؤذى البلدة كلها ، فلا يفر منها أحد .. فى النهاية ظفر
بفكرة موفقة ..

قال لنفسه وهو يضحك ضحكة شيطانية :

- « هذا هو ما سأفعله .. سأفسد أخلاق البلدة .. »

بعد ستة أشهر ، ذهب إلى (هادلبرج) .. وصل إلى بيت
محاسب المصرف حوالى الساعة العاشرة مساءً .. كان يحمل
حقيبة يتعثر بها وهو يقطع الفناء الخلفى للكوخ ، ثم قرع الباب ..

جاء صوت امرأة يقول :

- « تعال .. »

فتح الباب ودخل ليضع حقيبته جوار الموقد ، ثم قال
للعجوز التى تقرأ (مؤرخ الإرساليات) جوار المصباح :

- « هل لى أن أقابل زوجك لدقيقة يا سيدتى ؟ »

- « لا .. إنه فى (براكستون) ولن يعود إلا فى الصباح .. »

- « لا مشكلة يا مدام .. فقط أريد أن أترك هذه الحقيبة
المغلقة بالأختام ليعطيها لمالكها الأصلى حين نجده .. أنا مجرد
غريب .. ومهمتى الآن قد تمت فى فخر ورضا .. سوف أرحل
ولن تسمعى عنى ثانية ، وكل شىء مشروح بالتفصيل فى
المذكرة المثبتة على الحقيبة .. »

كانت المرأة خائفة من الغريب ، لكن حين رحل غلبها
الفضول ففتحت المذكرة :

- « هذه الحقيقية تحوى عملات ذهبية وزنها 160 رطلاً
وأربع أوقيات* » .. »

هرعت المرأة - مسر (رتشاردز) - تغلق الباب والستائر ،
وأصغت قليلاً إلى صوت اللصوص ثم عادت تقرأ المذكرة :

- « أنا غريب .. ولسوف أعود إلى وطنى ، لكنى مدين
لـ (أمريكا) بما حصلت عليه وأنا تحت علمها .. لقد قدمت
لى (هادلبرج) خدمتين .. »

« الأولى هى أننى كنت مقامرًا .. أقول (كنت) .. وصلت
القرية ليلاً جائعاً مقلساً .. كنت خجلاً من أن أتسول ، لكنى
فعلت ذلك فى الظلام .. وكان هناك رجل أعطانى عشرين
دولاراً .. بمعنى آخر أعطانى الحياة .. لأننى بهذا المال
قامرت وكونت ثروة وبدأت حياة جديدة .. »

« ومع العشرين دولاراً ، أعطانى نصيحة خالدة لم أنسها
قط .. لكنى لن أقامر ثانية .. »

(*) حوالى 73 كيلو جراماً

« أنا لا أعرف هذا الرجل ، لكنى أريد أن تجدوه .. وأن يأخذ هذا المال ليصرفه أو يبذره أو يدخره كما يريد .. أنا مطمئن إلى أمانة هذه البلدة ، وأعرف أن يوسعى الثقة بها .. يمكنكم أن تجدوا هذا الرجل عن طريق ملحوظة قالها لى فى تلك الليلة ..

« أقترح أن تجروا التحريات بشكل شخصى .. اكتبوا محتويات هذه الرسالة لكل من تعتقدون أنه الرجل الذى ساعدنى .. فإذا جاء من يقول إنه هو الرجل ، فاسألوه عن الملحوظة التى قالها لى .. إنها مكتوبة فى المظروف داخل الحقيبة .. لو كانت هى الملحوظة ذاتها فالرجل هو .. أما لو فضلت أن تعلنوا الأمر ، فانشروا الرسالة فى الجريدة .. واطلبوا من المرشح أن يظهر فى قاعة اجتماعات البلدة فى الثامنة مساء يوم الجمعة بعد ثلاثين يوماً من الآن ، ويقدم ملحوظته فى خطاب مغلق موجه إلى المحترم مستر (بيرجس) - لو وافق كريماً على المشاركة - ودعوه يحطم الأختام ويفتح الحقيبة ، ليرى إن كانت الملحوظة صحيحة .. فإن كانت صحيحة أعطوا المال لصاحبه مع جزيل شكرى .. »

جلست مسز (رتشاردز) ترتجف من الإثارة ..

- « فقط لو كان زوجي هو الرجل المحظوظ .. نحن فقيران ..
فقيران ومستان .. »

ثم تنهدت وقالت :

- « لكن ليس عزيزي (إدوارد) من يفعل هذا .. ليس
هو من يعطي غريباً عشرين دولاراً .. لكن هذا مال قمار ..
نقود خطيئة ! لا نستطيع أن نلمسها .. لا أريد أن أكون
بجوارها .. »

وابتعدت عن الحقيقة :

- « أتمنى لو جاء (إدوارد) وأخذها إلى المصرف ..
فلو أن لصاً جاء الآن .. من المرعب أن أكون هنا مع هذه
الأموال .. »

عاد زوجها في الحادية عشرة ليقول لها :

- « أنا متعب جداً .. أنا مجرد عبد لرجل آخر .. وهو
مستريح في بيته يلبس خفيه الدافئين .. »

- « أنا حزينة من أجلك .. لكن على الأقل لدينا اسمنا الطيب .. »

- « نعم يا (ماري) .. هذا كل شيء .. اغفري لي ..
بالمناسبة .. ما الذي في هذه الحقيقة ؟ »

حكى له زوجته القصة كاملة .. فشعر بالدوار وقال :

- « ماذا نفعله ؟ هل نجرى مخابرات شخصية ؟ لا .. أعتقد أنه لا بد من إعلان الأمر .. سيجعل هذا كل القرى الأخرى تشعر بالغيرة .. لأنه ما من غريب يتهور هكذا إلا مع (هادلبرج) .. يجب أن أذهب إلى الجريدة الآن .. »

- « لا .. لا .. لا تتركنى هنا مع هذه يا (إدوارد) .. »

لكن زوجها كان قد ابتعد .. وبعد خطوات قابل رئيس تحرير الجريدة فناوله المذكرة ..

قال الرجل :

- « ربما تأخرنا يا مستر (رتشاردز) .. لكن سارى .. »

عاد الرجل لزوجته .. وكان النوم مستحيلاً لأن السؤال المهم كان هو : من فى البلدة يمكن أن يعطى عشرين دولاراً لغريب .. لم تكن هناك إلا إجابة واحدة :

- « باركلى جودسان .. »

- « الجميع يعرف هذا .. منذ ستة أشهر حتى الآن والبلدة أمينة .. تحافظ على ممتلكاتها .. بخيلة .. »

- « هذا هو ما كان يقوله .. »

- « ولهذا كان الجميع يكرهه .. »

- « نعم .. لكنه لم يبال .. كان أفضل رجل مكروه بيننا ..
باستثناء المحترم مستر (بيرجس) .. »

- « كان (بيرجس) يستأهل هذا .. ولن يحتشد له المصلون
ثاقية .. لكن أليس غريباً أن يختار الغريب (بيرجس) لتسليم
المال ؟ »

- « (ماري) .. ربما يعرفه الغريب خيراً مما تعرفه القرية ..
ليس الرجل سيئاً .. »

أصابته زوجته الدهشة :

- « هراء !! »

- « أعرف أنه ليس سيئاً .. لكن نقص شعبيته يعود إلى
شيء واحد .. الشيء الذي أحدث كل هذه الضوضاء .. »

- « شيء واحد حقاً !! كأن هذا الشيء غير كاف .. »

- « (ماري) .. أؤكد بشرفي أنه كان بريئاً .. »

- « لا أصدق هذا وليس بوسعي .. فكيف تعرف ؟ »

- « يخجلني أن أعترف .. كنت الرجل الوحيد الذي عرف

أنه برىء .. كان بوسعى إنقاذه لكنى لم أجرو .. كان الكل سينقلب ضدى .. لم يكن لدى من الرجولة ما يكفى لهذا .. «
فكرت الزوجة قليلاً .. كان الصراع مريعاً لكنها حسمته
وقالت :

- « كنت سأمنعك على كل حال .. لكن ترى كيف يفكر
فيما الآن ؟ »

- « هو ؟ هو لا يشك لحظة فى أنه كان بوسعى إنقاذه ..
حين كانت القصة جديدة ملتبهة ، وكانت البلدة ستضعه على
قضيب قطار وتطرده* ، لم يسمح ضميرى بهذا .. لهذا
توجهت إليه وأذرتة .. من ثم غادر البلدة .. فترة كافية
حتى هدأت الأمور وعاد .. »

- « لو أن أحداً عرف .. »

- « كنت أموت رعباً من هذه الفكرة ، ولهذا لم أخبرك حتى
لا يفتضح الأمر على وجهك .. بعد فترة أيقنت أن أحداً لن يشك
فى ، وبدأت أشعر بالسعادة من أجل ما فعلت .. »

عادا ثانية إلى لغز حقيقة الذهب .. وبدأت المحادثة تعانى

(*) عادة الغرب فى طرد المكروهين من البلدة .. وهى طريقة محبة مثلها مثل القطران

من وفقات ومقاطعات بسبب التفكير العميق .. فى النهاية غرق
(رتشاردز) تماماً فى التفكير وتدرجياً بدأ يرتب أفكاره ..

فى نفس الوقت كانت زوجته غارقة فى الصمت ، وبدا
عدم الراحة على حركاتها ..

فجأة نهض زوجها فاعتمر قبعته ، كأنما هو رجل يمشى فى
أنشاء النوم ، وغادر المنزل .. بينما جلست زوجته مكتئبة وكأنما
لم تشعر قط أنه غادر المنزل .. ومن حين لآخر تغمغم :

- « لكننا فقيران جداً .. من سيتأذى لو ؟ لن يعرف أحد ..
ولكن ... »

ثم أفاقت من غيبوبتها ونظرت لأعلى ثم قالت فى مزيج
من الرعب والسرور :

- « رحل ! لكن لربما تأخر .. لربما تأخر كثيراً .. ربما لا ..
ربما هناك وقت .. »

ووقفت تفكر وتطبق يديها وتفكهما ..

ركعت جوار الحقيبة وراحت تتحسس جوانبها فى حب ..
بينما ظهر بريق فى عينيها العجوزين البائستين .. وكانت
من حين لآخر تغيب عن العالم وتردد من دون انقطاع :

.. « لو أننا فقط انتظرنا .. لو انتظرنا ولم نكن متعجلين
بهذا الشكل .. »

في الوقت ذاته عاد (كوكس) رئيس التحرير لداره
وأخبر زوجته بالقصة ، واتفقا على أنه لا يوجد إلا رجل
واحد في البلدة يمكن أن يعطى غريباً عشرين دولاراً هو
(جودسان) ..

ظلت الزوجة شاردة قليلاً ثم قالت كأنما تكلم نفسها :

.. « لا أحد يعرف بهذه القصة سوانا .. سوانا وآل
(رتشاردز) .. »

خرج الزوج من شروده وحملق في زوجته بكآبة ،
ثم نهض في تردد ونظر لقيعته .. ثم لزوجته في نوع
من التساؤل الصامت . ابتلعت الزوجة ريقها وبدلاً
من الكلام هزت رأسها .. بعد لحظة صارت وحدها تكلم
نفسها ..

الآن يهرع (كوكس) و (رتشاردز) عبر الشارع المقفر
من اتجاهين مختلفين ..

تقابلا لاهئين عند درج مكتب الطباعة .. وفي ضوء الليل
الخافت قرأ كل منهما وجه صاحبه ..

همس (كوكس) :

- « لا أحد يعلم بهذا سوانا ؟ »

جاء الرد الهامس :

- « ولا مخلوق .. بشرقى .. ولا مخلوق .. »

- « ألم يتأخر الوقت كى .. »

كانا يصعدان فى الدرج ، هنا قاطعهما صبي ، فسأل
(كوكس) :

- « هل هذا أنت يا (جوى) ؟ »

- « نعم يا سيدى .. »

- « لا تشحن البريد .. لا تشحن أى بريد .. انتظر حتى
أخبرك .. »

- « لقد ذهب يا سيدى .. »

- « ذهب ؟ »

كان فى صوته رنين من خيبة الأمل التى لا توصف ..

- « نعم يا سيدى .. لقد تغير الجدول الزمنى لـ (بركستون)
وكل البلدان القريبة .. »

لم يتكلم أى الرجلين لعشر دقائق .. ثم قال (كوكس) :

- « ماذا جعلك تتعجل بهذا الشكل ؟ »

كانت الإجابة بسيطة بما يكفى :

- « الآن أرى ذلك .. لكن لم أفكر قط حتى فات الأوان ..

لكن المرة القادمة .. »

- « فلتذهب المرة القادمة للجحيم ! لن تتكرر الفرصة

ولو بعد مليون سنة .. »

ثم افترق الصديقان دون تحية المساء ، وجرا نفسيهما

كأنما هما رجلان منيا بفقد حبيب .. وفى كل بيت وثبت

الزوجة صالحة : حسن ؟

ثم إنها رأت الإجابة على وجه زوجها .. من ثم غاصت

فى المقعد شاعرة بالأسى ..

وفى كل بيت دارت مناقشات أكثر خشونة والتهابا ..

قالت مسز (رتشاردز) :

- « لو أنك فقط انتظرت .. لو توقفت لتفكر .. لكن لا ..

لا بد من أن تجرى إلى مكتب الجريدة وتُنشر الخبر للعالم كله .. »

- « كانت المذكرة تطالبنى بالنشر .. »

- « لا .. قالت تصرف بشكل شخصى لو أردت .. »

- « ربما .. لكنى فكرت فى الصخب الذى ستحدثه القصة ، والفخر الذى ستجلبه لـ (هادليبرج) .. »

- « أعرف هذا .. لكن لو أنك فقط توقفت لتفكر .. عرفت أن الرجل المعنى ميت فى قبره بلا وريث .. ولما كان المال سيذهب إلى من يريده بقوة .. ولما كان أحد لن يتعذب .. »

ثم انفجرت فى البكاء فراح الزوج يبحث عما يهدئها ..

- « لقد كان هذا مكتوباً أن ... »

- « مكتوباً .. كل شيء مكتوب ؟ حين يبحث المرء عن مخرج لغيباته .. لم لا تفكر فى أنه كتب لنا أن نحظى نحن بهذا المال ؟ ومن أعطاك الحق فى تفسير إرادة السماء ؟ كان هذا خطأ .. كان هذا تفسيراً تجديفياً .. »

- « لكنك تعرفين يا (ماري) أننا ندرّبنا .. حتى صارت طبيعة ثانية لنا في هذه القرية ألا نتساءل حين يكون هناك شيء يتعلق بالأمانة .. وهانحن أولاء نرى كيف تصدعت هذه الأمانة الصناعية عندما برز أول إغراء حقيقي .. »

- « (إدوارد) .. أنا مؤمنة أن أمانة هذه البلدة متعقنة مثل أمانتي .. مثل أمانتك .. إنها بلدة منحطة .. بخيلة .. بلا أية فضيلة سوى هذه الأمانة المزعومة .. أعترف لك بأنني مخادعة .. كنت كذا طيلة حياتي دون أن أعرف .. »

- « حسن يا (ماري) .. أنا أشعر بالشيء ذاته .. »

وساد الصمت .. في النهاية قالت الزوجة :

- « أعرف قيم تفكر يا (إدوارد) .. »

بدا عليه الخجل وسمت من ضيظ متلبسًا .. فقالت :

- « لا مشكلة .. كنت أفكر في الشيء ذاته .. »

- « ليكن .. قولها .. »

- « كنت أفكر ماذا لو أن أحداً خمن محتوى المذكرة في الحقيقة .. تلك التي تحوى الملحوظة التي قالها

(جودسان) للغريب .. سنقف مراقبين حتى يفتح
المصرف في الصباح ونضع الحقيبة فيه .. الآن لندخل
الفراش .. »

- « لننام ؟ »

- « بل لنفكر .. »

في الوقت ذاته كان آل (كوكس) قد فرغا من الجدل ،
وراحا يفكران في عمق في محتوى الملحوظة التي قالها
(جودسان) للغريب .. الملحوظة التي تساوى أربعين ألف
دولار ..

أما السبب الذي جعل مكتب البرق في البلدة مفتوحاً حتى
هذه الساعة ، فهو أن مندوب جريدة (كوكس) كان يمثل
وكالة (أسوشيتد برس) هنا .. نقصد أنه يمثلها فخرياً لأنه
لم يكن ينجح إلا أربع مرات في العام في كتابة ثلاثين كلمة
تقبلها الوكالة .. لكن هذه المرة كان الأمر يختلف .. لقد
أرسلت له الوكالة تقول : أرسل القصة كاملة .. كل شيء ..
1200 كلمة ..

شعر الرجل بأنه أكثر الرجال فخراً في العالم ..

وفي الصباح التالي كان اسم (هادلبرج) - المدينة التي
لا يمكن إفسادها - على كل لسان في الولايات المتحدة ..
وراح الناس يتناقشون حول الغريب وحقيبة الذهب .. وعن
الكلمات المذكورة في الرسالة ..

★ ★ ★

صحت (هادلبرج) لتجد نفسها شهيرة .. مذهولة ..

وخرج مواطنوها لتسعة عشر الأهم يتصافحون .. يتسمون ..
ويقولون إن قواميس اللغة الإنجليزية ازدادت كلمة جديدة
هى (هادلبرج) بمعنى (نزيه) ..

ركض الجميع إلى المصرف ليروا الحقيقة .. ثم بدأ
الصحفيون يأتون ليروا الحقيقة ويكتبوا عنها من جديد ..
والتقطوا الصور للكنيسة وقاعة الاجتماعات حيث سيتم
الاختبار .. التقطوا صوراً للجميع حتى (جاك هاليداي) الصياد
مرح الطباع قليل الكبرياء .. صديق الأطفال والكلاب الضالة ..

كل الوجوه كانت تبدى رضا حالماً .. وسعادة علوية ..
ثم بدأ التغيير .. ببطء شديد ..

ربما ما كان أحد ليلاحظ التغيرات .. ما عدا (جاك هاليداي)
الذى كان يلاحظ كل شيء .. لقد بدأ يلقي ملحوظات ضاحكة عن
الناس الذين لا يبدون بذات السعادة كما كانوا أمس .. فى
النهاية أعلن أن الناس يبدو عليهم الهم والشروء وتشغل البال ..

فى كل فراش كان أحد أعلام البلدة يقول لزوجته شاردًا :

- « ترى ما هى الملحوظة التى قالها (جودسان) ؟ »

فتهز زوجته رأسها وتقول :

- « لا تفعل .. ترى أية أشياء مريعة فى ذهنك ؟ أبعد

الفكرة عنك بالله عليك .. »

ويتكرر الأمر فى الليلة الثانية والثالثة .. هنا تبدأ

الزوجات فى الاعتراض بصوت أضعف فأضعف .. ثم تأتى

الليلة التى يقلن فيها :

- « فقط لو استطعنا التخمين .. »

ويومًا بعد يوم كانت سخرية (هاليداي) لا تطاق .. لكنها

كانت الضحكة الأخيرة فى البلدة المهمومة التى لم تعد فيها

بسمة واحدة ..

وهكذا مرت ثلاثة أسابيع ولم يبق إلا أسبوع واحد ..

كان هذا يوم السبت بعد العشاء .. لكن شوارع المدينة

كانت خالية بدلًا من المرح والتسوق ..

لقد جلس (رتشاردز) وزوجته العجوز فى الردهة ..

تعيسين يفكران .. لقد صارت هذه عائلتهما .. لقد ماتت ونسيت

عادتُهما القديمة ليلاً في الحياكة والقراءة والثروة الراضية
أو زيارة الجيران .. لم يعد أحد يتكلم أو يزور الجيران .. كل
القرية تجلس قلقة صامتة في البيوت ..

تلقى (رتشاردز) رسالة فنظر لها نظرة عابرة ..
ثم ألقي بها على المنضدة وعاد إلى أماله المحبطة ..
بعد ثلاث ساعات تعبت زوجته وتأهبت للذهاب إلى
الفراش دون مساء الخير .. ثم رأت الخطاب فرمقته
بلا اهتمام ..

وكان زوجها جالساً حين سمع صوت ارتطام .. هرع
ليرى ما هناك ، لكن زوجته صاحت :

- « دعنى وشأنى .. أنا سعيدة جداً .. اقرأ الخطاب ..
اقرأ .. »

وفعل .. التهم الخطاب وعقله يتسارع .. كان الخطاب من
ولاية بعيدة .. وكان يقول :

- « أنا غريب بالنسبة لكما لكن هذا لا يهم .. لقد وصلت
لوطنى من المكسيك ، وعرفت بهذه القصة .. أنتما طبعا
لا تعرفان من قال تلك الملحوظة ، لكنى أعرف .. أنا الوحيد
الذى يعرف .. »



التهم الخطاب وعقله يتسارع .. كان الخطاب من ولاية بعيدة ..

« لقد كان هذا (جودسان) .. لقد عرفته جيدًا منذ أعوام ..
لقد مررت بقريتك في تلك الليلة وكنت ضيفه حتى جاء
قطار منتصف الليل .. سمعته يذكر تلك الملحوظة للغريب
في الظلام .. كان هذا في زقاق (هال) ..

« لقد تكلم (جودسان) عن بلدتكم وعنكم .. وقد ذكر الجميع
بالسوء فيما عدا ثلاثة كانت نبرته حسنة نوعًا بخصوصهم ..
أقول (حسنة نوعًا) .. لاشيء أكثر .. هؤلاء الثلاثة أنت
ضمنهم .. قال إنك في يوم ما أديت له خدمة عظيمة .. وإنك
لم تكن تعرف قيمتها ، وإنه لو كان يملك ثروة لتركها لك
ولترك اللعنة لكل القرية ..

« إذن أنت وريثه الشرعى .. ومن حقك أن تحصل
على الذهب .. وأنا أعهد فيكم آل (هادلبرج) الأمانة
والصدق ، لذا سأذكر لك تلك الملحوظة وأنا مطمئن
إلى أنه لو لم تكن أنت ، فإني ستبحث عن الرجل
المقصود ..

« الملحوظة التي قالها (جودسان) هي : أنت لم تتحدر
إلى مرتبة الأشرار .. اذهب وأصلح نفسك .. »

« هوارد ل. ستيفنسون .. »

صاحت الزوجة :

« آه يا (إدوارد) ! أنا سعيدة جدًا .. لقد أردنا هذا .. إن المال لنا .. والآن أنت حر من (بنكرتون) ومصرفه .. لم تعد عبداً لأحد .. أشعر بأننى أطير فرحاً .. »

وجلس الزوجان شاعرين بسعادة لم يظفرا بها منذ أيام الخطبة .. فقد صارت حياتهما روتيناً ثابتاً لا يتغير حتى جلب الغريب المال .. وقالت الزوجة :

- « أوه .. كم أن هذا حظ حسن أنك أديت هذه الخدمة لـ (جودسان) المسكين .. لم أحبه قط لكنى أحبه الآن .. ومن الجميل أنك لم تذكر هذا المعروف قط أو تتباهى به .. »

قال (إدوارد) مرتبكاً :

- « م م م .. (مارى) .. أنت ترين .. »

- « كف عن الغمغمة واحك لى يا (إدوارد) .. الكل يؤمن أنه كانت هناك روح واحدة كريمة فى هذه القرية ، والآن يتضح لى أن هذه الروح هى أنت .. لماذا لا تقول لى ؟ »

- « لكن يا (مارى) .. لا أقدر .. »

- « لماذا لا تقدر ؟ لماذا لا تقدر ؟ »

- « لأنه جعلنى أقسم ألا أتكلم .. »

نظرت له فى حدة :

- « جعلك تقسم ؟ لم تخبرنى بهذا ؟ »

- « وهل تحسبىنى أكذب ؟ »

وضعت يدها على رجله وقالت :

- « لا .. لا .. لقد ابتعدنا عن طبائعنا كثيراً فليحمننا الله

من هذا .. أنت لم تكذب فى حياتك .. لكن أشياء كثيرة

تتهوى من تحت أقدامنا الآن .. »

كان (إدوارد) شارد الذهن .. لأن عقله كان يحاول تذكر

آية خدمة قدمها لـ (جودسان) على الإطلاق ..

وهكذا ظلا ساهرين .. (ماري) سعيدة مشغولة ..

(ريتشاردز) مشغول لكنه ليس سعيداً ..

هل سبق له أن أدى خدمة لـ (جودسان) ؟ بالطبع .. هناك

كلمات (جودسان) نفسه .. هى الدليل الذى لا يدحض ..

إن قد استقرت هذه النقطة ..

لكن (ستيفنسون) كاتب الرسالة لم يكن واثقاً تماماً مما إذا كان (رتشاردز) هو من قدم الخدمة .. بل إن الأول واثق من أن (رتشاردز) لو لم يكن هو المقصود فلسوف يذهب لبحث عن مقدمها الحقيقي ..

نقطة أخرى : كيف ظل اسم (رتشاردز) في ذهن (ستيفنسون) كل هذه الأعوام ولم يخطئه باسم آخر ؟ هذا جميل .. كلما دققت في الأمر وجدت أن هذا دليل كاف على أن (رتشاردز) هو من قدم الخدمة ..

هكذا قرر أن يتخلص من التفكير في هذه المسألة ..

إنه مستريح الآن .. لكن هناك مشكلة أخيرة تلح عليه .. بالطبع هو قد قدم خدمة .. هذا مؤكد .. لكن ماذا كانت الخدمة ؟

يجب أن يتذكر وألا يخلد للنوم قبل أن يتذكرها .. لذا فكر وفكر .. لم يبد له أي احتمال معقولاً .. لم يبد له أي شيء يستحق المال الذي تمنى (جودسان) أن يتركه له ..

ما نوع الخدمة التي تجعل رجلاً ممتناً إلى هذا الحد ؟ إنقاذ روحه ! لا بد أنه كذلك ..

تذكر كيف حاول ذات مرة أن يغير شخصية (جودسان) ،

وكم جاهد لهذا .. بدا له أنه حاول ثلاثة أشهر .. لكن إذ فكر ثانية وجد أنها فترة شهر .. ثم أسبوع .. ثم يوم .. ثم لا شيء ..
لقد تذكر الآن أنه نصح (جودسان) لكن الأخير نصحه بأن يذهب إلى الجحيم ولا يتدخل فيما لا يعنيه ..

إن .. هذا الاقتراح فاشل .. إنه لم ينقذ روح (جودسان) ..
بعد قليل خطرت له فكرة أخرى .. هل أنقذ ممتلكات (جودسان) ؟ لا .. لم يكن لدى الرجل ممتلكات ..
هل أنقذ حياته ؟ لا .. وإلا لكان تذكرها ..

لكنه على الطريق الصحيح .. إن عقله يعمل بأفضل كفاءة له الآن ..

لذا - خلال ساعتين من التفكير المضنى - كان ينقذ حياة (جودسان) .. لقد أنقذها بكل السبل الممكنة .. وفي كل مرة كان ينقذ الرجل بشكل جيد ، ثم إذ يقنع نفسه بأن هذا حدث فعلاً ، كان يقابل تفصيلاً عسيراً يجعل الأمر مستحيلاً ..

مثلاً بالنسبة للفرق ، كان يغطس في الماء ويجذب (جودسان) إلى الشط بينما جمهور غفير يهزل ويصفق ..
لكن ما إن يبدأ في تصديق أن هذا قد حدث ، كانت مجموعة

تفاصيل مزعجة تبرز له .. كانت المدينة ستعرف القصة ..
وكلت (مارى) ستعرفها .. كان سيذكر كل التفاصيل بدلاً من أن
تكون الذكرى «خدمة عظيمة لم تكن تعرف قيمتها ..»

وهنا تذكر أنه لا يستطيع السباحة على كل حال ..

لحظة .. هناك نقطة تناسها أو نسيها .. لا بد من أن
تكون الخدمة «خدمة عظيمة .. ولكنه لم يعرف
قيمتها ..» هذا سيسهل البحث ..

منذ أعوام كاد (جودسان) يتزوج فتاة حسناء حلوة اسمها
(ناتسى هويت) .. لكن لسبب ما لم يتم التوافق ، وماتت
الفتاة وبقى (جودسان) عزباً .. وبمرور الوقت اكتسب
المرارة واحتقار الجنس البشرى .. قبل موت الفتاة وجد أهل
البلدة أو ظنوا أنهم وجدوا بعض الدم الزنجى فى عروقها ..
وخيل لـ (رتشاردز) أنه هو من وجد هذا الدم الزنجى ..
وخيل إليه أنه أخبر القرية .. وأن القرية أخبرت (جودسان)
وبهذا نجا من الزواج بالفتاة .. وبهذا يكون قد أسدى له
«خدمة عظيمة .. ولكنه لم يعرف قيمتها ..» بل فى الواقع
«دون أن يعرف أنه أسداها ..» لكن (جودسان) عرف
وذهب إلى القبر راضياً راغباً فى ترك ثروة لمنقذه .. كل
هذا واضح ، وكلما فكر فيه بدا له أكثر وضوحاً ..

وهكذا حين أخذ لفراشه كان يذكر الأمر كأنما حدث أمس ..
بل إن خياله صور له (جودسان) يشكره على هذه الخدمة ..

فى الوقت ذاته أنفقت (مارى) ستة آلاف دولار على
بيت جديد لها ، ثم نامت ..

فى ذات الليلة أوصل ساعى البريد تسعة عشر خطاباً
لمواطنى البلدة المرموقين .. ولم يتمثل مظروفاً .. ولم تتمثل
الخطابات بالداخل .. لكن الصيغة كانت واحدة .. وكلها
بتوقيع (ستيفنسون) .. وقد فعل الجميع ما فطه (ريتشاردز) ..
حاولوا تذكر أية خدمة قاموا بها لـ (جودسان) .. بينما
كانت الزوجات ساهرات ينفقن المال .. لقد أنفقت الزوجات
130 ألف دولار معاً ..

وفى الصباح لاحظ (هاليداي) رضا الزوجات وسرورهن ..
ولم يجد تفسيراً لهذا ..

حين قابل مسز (ولكوكس) لاحظ النشوة الهائلة فى
عينها .. فسأل نفسه :

« هل رزقت قطتها بقطيبتين ؟ »

وسأل الطباخ عن هذا ، فلم يكن شىء من هذا .. لقد
لاحظ الطباخ سعادتها وإن لم يجد لها سبباً ..

وحين رأى السعادة المزدوجة على وجه (شابلبي بيلسون) ،
تأكد من أن أحد جيرانه قد كسر رجله .. لكن البحث أخبره
أن هذا لم يحدث ..

أما السعادة على وجه (شيلبي) فكانت تقول بوضوح إن
حماته ماتت .. لكن هذا كان خطأ آخر ..

أما (بنكرتون) .. فقد بدا كأنما عثر على عشرة سنتات
حسب أنها ضاعت .. لكن لا .. وهكذا .. وهكذا ..

في النهاية قال (هاليداي) لنفسه :

- « من المؤكد أن هناك تسعة عشر مواطناً يحلقون في
السماء .. لا أعرف السبب .. »

كان هناك بناء من الولاية المجاورة ، قد أنشأ لنفسه عملاً
في هذه القرية غير الواعدة .. ولافتته معلقة منذ أسبوع ..
لم يأت زبون واحد .. وكان الرجل من الطراز سريع القلق ،
وقد ندم على أنه اختار هذه القرية .. لكن الآن تغيرت
الأمر .. لقد جاءت له أكثر من زوجة اليوم تقول له :

- « تعال إلى دارنا يوم الاثنين .. لكن لا تقل شيئاً لأحد ..
نحن نفكر في البناء .. »

تلقى إحدى عشرة دعوة اليوم .. في هذه الليلة كتب لابنته

وطلب أن تفسخ خطبتها مع خطيبها .. قال إنها تستطيع أن
تظفر بعريس أعلى مقاماً بميل كامل ..

فكر آل ويلسون في شيء جديد تماماً : حفل راقص
جميل .. لم يخبرا أحداً بالحقيقة لكنهما قالا إنهما يفكران ..
« لو أقمنا هذا الحفل فلسوف ندعوكم حتماً .. »

وقال الناس بعضهم للبعض : « هذان مجنونان .. ليس
لديهما المال الكافي لهذا .. »

بعض الناس لم يكتفوا فقط بالحلم بالإففاق ، بل أنفقوا
فعلاً ، واشتروا بيوتاً وأثاثاً وثياباً وجياداً .. ثم بدأ نوع من
القلق على الوجوه ، وهو شيء لم يستطع (هاليداي) فهمه :
.. « قطيطات آل (ونكوكس) لم تمت لأنها لم تولد قط ..
لم تنقص الحموات .. ولم يكسر أحد رجله .. لم يحدث
شيء .. فماذا استجد ؟ »

كان هناك رجل آخر متحير هو المحترم (بيرجيس) ..
لأيام بدا له أنه كلما ذهب لمكان كان الناس يقتفون أثره
ويراقبونه .. وكلما وجد نفسه وحده كان رجل يدنو منه
ليدس مظروفاً في يده ويقول :

.. « يفتح في قاعة الاجتماعات مساء الجمعة .. »

ثم يكتفى كآته مذنب .. كان يتوقع أن يكون هناك
من يطالب بالحقيبة .. وإن كان يشك في هذا لأن
(جودسان) مات ، لكنه لم يتوقع أن يوجد كل هؤلاء
المطالبين ..

وحيث جاء اليوم المحدد كان معه تسعة عشر مظروفاً ..

★ ★ ★

3

لم تبد قاعة الاجتماعات فى المدينة بهذا البهاء من قبل ..

لقد تمت تغطية المنصة فى نهايتها بالأعلام ، ومتباعدة على الجدار كانت زينة من الرايات .. والأعمدة ملفوفة بالأعلام ، كل هذا لإبهار الغرباء والصحافة ..

كان المكان مزدحمًا .. تم احتلال الـ 412 مقعدًا مثبتًا والـ 68 مقعدًا إضافيًا والتي وضعت فى الممر بين المقاعد .. وكذا وضعت مقاعد على الدرجات .. وعلى المسرح تراصت بعض المقاعد على شكل حدوة حصان ، جلس عليها المراسلون شديدي الأهمية والذين جاءوا من كل صوب ..

كانت النساء فى ثياب باهظة الثمن نوعًا ، وإن بدا على النسوة اللاتى يلبسنها أنهن غير مستريحات كأئما لم يعتدن هذا .. وربما نشأ هذا الانطباع من عدم اعتياد البلدة على رؤية هاته النساء فى ثياب كهذه من قبل ..

تم وضع حقيبة الذهب على منضدة صغيرة فوق المنصة ، حيث يراها الكل ..

راح الكل ينظر لها باهتمام مشتعل .. اهتمام شغوف

يسيل لعبه .. اهتمام كئيب حزين .. إلا أن هناك تسعة عشر زوجًا كانوا ينظرون لها في رفق وحب .. وراح الذكور منهم يرددون في سرهم الخطب المرتجلة التي سيشكرون بها التصفيق والتهاني التي سيتلقونها حالاً ..

ومن آن لآخر كان كل واحد منهم يخرج ورقة صغيرة من جيبه ليراجع ما بها منعشًا ذاكرته ..

كان هناك كلام كثير ، لكن حين نهض المحترم (بيرجس) ووضع يده على الحقيبة ، كان بوسعها أن يسمع صوت الميكروبات وهي تمضغ طعامها .. فقد ساد المكان صمت تام .

حكى قصة الحقيبة الغريبة .. ثم راح يتكلم عن (هالدبرج) بحرارة .. التي عرفت بالأمانة والصدق .. وعن أن هذه السمعة هي مفخرة البلدة الوحيدة .. السمعة التي هي كنز لا يقيم بمال .. والذي جعلته العناية الإلهية أكثر أهمية .

وبالتالي صارت البلدة رمزًا دائمًا للنزاهة غير القابلة للإفساد (تصفيق) ..

- « ومن هذا اليوم إلى يوم الدين ، سيكون كل منكم مسئولاً عن نفسه وحارسها .. هل يقبل كل واحد فيكم هذه الثقة الغالية ؟ (موافقة صاخبة) .. إذن كل شيء بخير ..

انقلوا هذه الرسالة لأطفالكم وأطفال أطفالكم .. اليوم نقاؤكم
فوق الشبهات .. فتأكدوا من أن يبقى كذا .. اليوم ليس بينكم
من يرغب في أن يلمس قرشنا لا يخصه .. تأكدوا من أن
يبقى الأمر كذلك .. كونوا على هذا الشرف مقيمين ..
(سنفعل ! سنفعل !) .. ليس هذا هو المكان المناسب لنقارن
أنفسنا بالآخرين .. بعض هذه المجتمعات ينظر لنا بغلظة .. إن
لهم طريقهم وتنا طريقنا .. لكن بذلك قاتعين .. (تصفيق) .. لقد
انتهى كلامي يا أصدقاء ، وتحت يدي الآن اعتراف فصيح
لرجل غريب عن مجتمعنا بما في هذا المجتمع من فضائل ..
وبفضله سيعرف العالم للأبد من نحن .. لا أعرف اسم هذا
الغريب لكنني باسمكم أعلن له امتناننا .. وأطلب أن ترفعوا
أصواتكم بالتأييد .. »

نهض الجميع مهللين واهتزت الجدران بالشكر لفترة
لا بأس بها ..

ثم جلس الجميع ومد المحترم (بيرجس) يده إلى جيبه
وأخرج منه قصاصة من ورق ..

راح يقرأ ببطء وبشكل مؤثر على حين راح الجالسون
يصغون في شبه غيبوبة إلى هذه الوثيقة السحرية ، التي
تساوى كل كلمة منها سبيكة ذهب ..

- « الملحوظة التي قلّتها للغريب المكروب هي : أنت لم
تتحدّر إلى مرتبة الأشرار .. اذهب وأصلح نفسك .. »

ثم قال :

- « الآن سنعرف ما إذا كانت هذه الملحوظة هي نفس
تلك الموجودة في الحقيقة .. فإذا ثبت هذا - وهو كذلك - فسوف
تكون هذه الحقيقة ملكاً لمواطن من مواطنينا ، سوف يصير
من الآن رمزاً للفضيلة التي جعلت بلدتنا شهيرة في أرجاء
الأرض .. مستر (بيلسون) !! »

تأهب الجميع للانفجار في نوبة من التصفيق ، لكن على
عكس هذا بدا كأنما الشلل ضرب الجميع ..

ساد الصمت العميق لدقيقة .. ثم تعالت موجة من
الهمسات عبر المكان .. كلها بهذا المعنى تقريباً :

- « (بيلسون) ؟ هلم ! هذه خدعة مفضوحة .. يعطى
عشرين دولاراً لغريب ؟ (بيلسون) ؟ »

ثم لاحظوا شيئاً آخر .. لاحظوا أنه في طرف القاعة
وقف (بيلسون) وقد حنى رأسه .. وعلى الجانب الآخر
وقف المحامي (ويلسون) في الوضع ذاته ..

استدار الرجلان وتبادلا النظر .. وسأل (بيلسون) :

- « لم تقف يا مستر (ويلسون) ؟ »

- « لأن لي الحق في ذلك .. ربما تتفضل أنت وتشرح للجميع لماذا تقف أنت ؟ »

- « بسرور يا سيدى .. لأننى كتبت هذه الورقة .. »

- « هذا تزيف وقبح ! أنا كتبتها بنفسى .. »

هنا جاء دور (بيرجس) ليصبيه الشلل ..

لقد وقف ينظر نظرة خاوية إلى أول الرجلين ، ثم للآخر .. ولم يدر ما يفعله ..

قال المحامى :

- « أنا أسأل رئيس الجلسة أن يقرأ الاسم الموقع به على الورقة .. »

هكذا عاد لرئيس الجلسة وعيه ، وقرأ الاسم :

- « (جون أنتونى بيلسون) .. »

- « هكذا ! ماذا بوسعك قوله الآن ؟ وأى اعتذار يمكنك تقديمه لى ولهذا الاجتماع على التكتليس الذى جربته الآن ؟ »

- « لا اعتذرات يا سيدى .. وإبنى لأتھمك علقاً بالسطو على
مذكرتى التى كانت مع مستر (بيرجيس) ، واستبدال نسخة وقعت
عليها أنت بها .. لا توجد طريقة أخرى يمكنك بها تخمين ما جاء
فى مذكرتى .. أنا وحدى من بين الأحياء أعرف سر الكلمات .. »
كان من الممكن أن تحدث فضيحة ، وقد لاحظ الجميع أن
كتاب الاختزال كانوا يدونون هذا كله بسرعة كالمجانين ..
كان الكثير يصرخون (مقعد .. مقعد !!) ..

طرق المحترم (بيرجس) بمطرقته وقال :

- « دعونا لائنس مقتضيات اللياقة .. لقد حدث خطأ ..
لكن هذا كل شيء .. لو كان مستر (ويلسون) قد أعطانى
مظروفاً وأنا أذكر الآن أنه فعل ، فهو مازال معى .. »
ثم مد يده فى جيبه ، وأخرج خطاباً وفتحه .. ثم نظر فيه
مذهولاً قلقاً .. لوح بيده بطريقة ميكانيكية مندهشة ، وحاول
أن يقول شيئاً ثم استسلم فتعالت الأصوات :
- « قل شيئاً .. اقراه ! »

لذا بدأ يتكلم كمن يسير فى أثناء النوم :

- « الملاحظة التى قلتها للغريب التعس هى : أنت لم
تتحدث إلى مرتبة الأشرار تماماً .. اذهب وأصلح نفسك .. »

ودوت الصيحات : غريب ! مذهل ! ما معنى هذا ؟

قال (بيرجس) :

- « إن عليها توقيع مستر (ويلسون) ! »

هنا صاح (ويلسون) :

- « هذا ينهى الأمر .. كنت أعرف أن مذكرتي قد سرقت .. »

قال (بيلسون) :

- « سرقت ؟ سأعلمك كيف أنه لا أنت ولا أى شخص من

نوعك يمكن أن يجروا على ... »

صاح رئيس الجلسة :

- « النظام أيها السيدان .. النظام ! أرجو أن تجلسا ! »

كان الجميع فى ذهول ، عندما نهض (تومسون) صانع

القبعات .. كان يتمنى لو كان من التسعة عشر محظوظاً ، لكن

رصيده من تجارة القبعات لم يؤهله ليكون مرموقاً .. قال :

- « سيدى .. هل لى أن أقترح أن كلا السيدين على حق ؟

لربما قال كلاهما ذات الكلمات للغريب ... »

هنا نهض الدباغ الذى كان حاد الطباع وقال :

« طبعاً .. هذا قد يحدث مرتين في كل مائة عام .. لكن
المستحيل هو أن يعطى أى منهما عشرين دولاراً لغريب ! »
وتعالى التصفيق ...

قال الدباغ :

« الآن سيدى هناك شىء أكيد .. أحد هذين الرجلين كان
يتلصص على الآخر ويسترق السمع لأسراره العائلية .. وليس
فى اقتراحى هذا ما يمس الروح البرلمانية بسوء .. إننى أرى
أن كليهما جدير بهذا .. وأرى أنه لو كان أحدهما قد سمع
الآخر يحكى القصة لزوجته ، فسوف نعرف هذا الآن .. »

جاء صوت يسأل :

« كيف ؟ »

« سهل .. كلاهما لم يذكر الملحوظة بنفس الكلمات ..
كنتم ستلاحظون هذا لولا المشاجرات بين الوركين .. »

« ما هو الفارق ؟ »

« كلمة (تماماً) .. فلو أننا فحصنا الورقة فى الحقيقة
لعرفنا من من هذين النجاليين .. (الهدوء يا سادة .. الهدوء) ..
من من هذين المغامرین .. (النظام يا سادة .. النظام) ..

مَنْ مِنْ هَذَيْنِ السَّيِّدَيْنِ (ضحك وتصفيق) .. يستحق أن يكون
أول نصاب عديم الأمانة ينشأ في مدينتنا .. التي ستصير
جحيماً له من الآن فصاعداً ! »

مد المحترم يده في الحقيقة وأخرج منها مظروفين
مغلقيين .. وقال :

- « أحد هذين يقول : لا يفحص إلا بعد قراءة كل المطالبات
المقدمة للرئيس .. الآخر كتب عليه : الاختبار .. كتب في
الورقة : لا أريد الدقة الكاملة في نصف الملاحظة الأولى
التي قالها لي المحسن .. لأن كلامها غير مهم ويسهل
نسيانه .. لكن الكلمات الخمس عشرة الأخيرة مهمة جداً ..
وما لم يذكر لك هذه الكلمات الأخيرة بدقة يمكنكم اعتبار
المطالب نصائباً .. لقد بدأ المحسن إلى بأن قال إنه لا يعطي
النصائح إلا فيما ندر .. لكن نصائحه عظيمة القيمة حين
يعطيها .. والنصيحة التي قالها لي لن أنساها ابداً : أنت لم
تنحدر إلى مرتبة الأشرار تماماً .. »

هنا تعالت الأصوات :

- « هذا يسوى الأمر .. (ويلسون) ! (ويلسون) ! خطبة ..
خطبة ! »

هنا دق الرئيس على المنضدة وصاح :

- « نظاماً يا سادة ! النظام ! دعونى أكمل ! »

وحين عاد الهدوء واصل القراءة ..

- « اذهب وأصلح نفسك .. تذكر كلمتى .. لأن خطاياك

ستجعلك تموت وتذهب إلى الجحيم أو إلى (هادلبرج) ..

حاول أن تختار الخيار الأول .. »

ساد صمت عميق .. ثم بدأت سحابة من الغضب تخيم

على الجالسين .. ثم بدأت السحابة تملأ ، وبدأ شعور من

الابتهاج ، بدا كأنما كان يتوارى بصعوبة عظيمة ..

وحنى الغرباء والصحفيون رءوسهم ، وأخفوا وجوههم

بأيديهم ، وحاولوا التماسك بقوة لا يمكن وصفها ..

ثم فجأة انفجر الجميع فى الضحك ، وحتى المحترم

(بيرجس) لم يستطع التماسك أكثر .. واعتبر الحضور أنفسهم

وقد تم إعفاؤهم من الرسميات ، وقرروا الاستمتاع بهذه

المزية إلى أقصى حد .. وكان ضحكاً طويلاً لذيذاً أنهاه

المحترم (بيرجس) .. الذى وجد هذه الكلمات الجادة :

- « لاجدوى من مداراة الحقيقة .. هذه المسألة عظيمة

الخطر .. إنها تعنى شرف بلدتنا .. إنها تصفع سمعتنا .. إن
اختلاف الكلمات بين مستر (ويلسون) و (بيلسون) لأمر
خطير لأنه يعنى أن أحد هذين السبدين أو كليهما ارتكب
جريمة سرقة .. »

كان الرجلان يجلسان معدومى الحيلة ، لكن سماع هذه
الكلمات جعل الكهرباء تسرى فيهما ، فقال الرئيس :

« اجلسا .. »

فأطاعا ..

« المشكلة الآن أن شرفيهما معاً فى خطر .. هل أتمادى
فأقول إنهما فى خطر لافكاك منه ؟ كلاهما لم يذكر الكلمات
بالغة الأهمية .. »

ثم صمت حتى يستجمع الصمت تأثيره ، وأضاف :

« هناك طريقة واحدة يحدث بها شىء كهذا .. إننى
أسأل السبدين عما إذا كان بينهما تواطؤ ؟ »

ودوى صوت الناس يقولون :

« قد ظفر بهما معاً .. »

لم يكن (بيلسون) معتاداً على الطوارئ لذا جلس معدوم
الحيلة ، لكن (ويلسون) كان محامياً .. فهب شاحباً قلقاً
وقال :

- « إننى أطلب مهلة حتى أشرح هذه القضية الأليمة ..
يوسفنى أن أقول ما سأقول لأنه سيسبب أذى لا يمكن
إصلاحه لمستر (بيلسون) الذى طالما قدرته واحترمته ..
والذى آمنت دوماً بأنه أقوى من أى إغراء .. لكن إنقاذاً
لشرفى يجب أن أتكلم .. وأعترف ببعض العار أننى قلت
للغريب كل ما ذكر فى ورقة الاختبار .. وحين قرأت الخبر
فى الجريدة قررت أن أطلب بحقية الذهب ، فهذا حقى
تماماً .. يجب أن تفهموا أن امتنان الغريب لى ليلتها لم
يعرف حدوداً .. لقد قال لى ليلتها إنه مستعد كى يرد جملى
ألف مرة .. لكنى لم أتصور قط أن يضعنى فى موقف حرج
كهذا .. يجعلنى أردد كلمات تسيء لمجتمعى أمام قومى ..
فى هذا الاجتماع الكريم ؟ كان هذا مستحيلاً .. كان
المفترض أن يحوى اختباره فقط الكلمات المهدبة التى بدأت
بها كلامى .. لو كنتم مكانى لتوقعتم الشىء ذاته .. لن
تتوقعوا هذه الخيانة والإساءة .. لهذا بكل أمانة كتبت على

ورفتى الكلمات الخيرة الأولى التى تنتهى بـ (اذهب وأصلح نفسك ..) ثم نادانى أحدهم فتركت الورقة قبل أن أضعها فى مظلوف .. »

ثم استدار ونظر ببطء إلى (بيلسون) وانتظر لحظة ثم قال :

- « أطلبكم بأن تلاحظوا هذا .. حين عدت لمكتبى كان مسٹر (بيلسون) يغادر بابى .. »

فى لحظة كان (بيلسون) على قدميه يصرخ :

- « هذه كذبة .. كذبة مشينة !! »

قال الرئيس :

- « اجلس .. مسٹر (ويلسون) هو الذى يتكلم الآن .. »

وشد أصحاب (بيلسون) الرجل وأجلسوه .. بينما قال (ويلسون) :

- « تلکم هى الحقائق البسيطة .. وحين عدت للمكتبة كانت المذكرة فى موضع مختلف .. لكنى لم أعطى أهمية على هذا .. إن احتمال أن يقرأ (بيلسون) خطابات الآخرين

أمر لم يرد لي ببال .. لأنه كان رجلاً شريفاً .. والآن أنا
الرجل الوحيد في العالم الذي يستطيع أن يقول لكم محتوى
الورقة بشكل شريف .. لقد انتهت كلمتي .. »

لا شيء في العالم مثل خطبة جيدة يقدر على إرباك
الجهاز العقلي وإفساد عواطف جمهور غير مدرب على حيل
الخطابة ..

وقد جلس (ويلسون) راضياً عن نفسه بينما ارتجت القاعة
بموجات التصفيق ..

وراح الأصحاب يصفحونه مهنئين ، بينما صرخوا في
(ويلسون) ولم يسمحوا له بكلمة واحدة ..

صاح المحترم :

- « ولكن دعونا نستمر يا سادة .. نستمر .. »

في النهاية ساد صمت معقول .. وقال صانع القبعات :

- « وبم نستمر يا سيدي ؟ لم يبق إلا تسليم المال .. »

وتعالت صيحات الناس :

- « هذا حق .. تقدم يا (ويلسون) .. تقدم .. »

وحمل بعض المتحمسين (ويلسون) على أعناقهم
وتأهبوا لحمله إلى المنصة .. هنا تعالى صوت
الرئيس :

- « النظام ! عودوا لمقاعدكم .. أنتم تتسبون أن هناك ورقة
يجب أن تقرأ .. »
ثم تذكر فقال :

- « نسيت .. ليس من حقي أن أقرأ هذه الورقة قبل
مطالعة كل المطالبات .. »

ثم مد يده لجيبه وأخرج ورقة .. نظر فيها بعناية .. بدا
عليه الذهول .. فصاح الناس :

- « ماذا هناك ؟ تكلم .. »

قال :

- « الملاحظة التي قلتها للغريب هي : أنت لم تتحدر إلى
مرتبة الأشرار .. اذهب وأصلح نفسك .. توقيع مستر
(بنكرتون) مدير المصرف .. »

تحرر جحيم المرح من عقاله ، حتى أوشك الناس على

النبكاء .. والصحفيون لم يعودوا يكتبون إلا (نبش فراخ)
لا يمكن قراءته في هذا العالم .. وهب كلب أفزعته كل هذه
الضوضاء فراخ ينبح ..

ونصايح الناس :

- « نحن أثرياء !! رمزان للنزاهة !! حتى لو لم نحس
(بيلسون) ! »

- « يالـ (ويلسون) البائس ! لقد كان ضحية لصين !! »
هنا تعالى صوت المحترم يأمر بالصمت ، وأخرج ورقة
جديدة وراح يقرأ :

- « الملاحظة التي وأصلح نفسك .. توقيع مسرر
(جريجوري بيتس) .. »

دوت الأصوات كالإعصار :

- « أربعة رموز للنزاهة !! »

نهض بعض الرجال التسعة عشر متجهين لممر الخروج ،
لكن الأصوات تعالت :

- « أغلقوا الأبواب !! لن يغادر أي رجل نزيه هذه القاعة !! »

- « الملاحظة التي وأصلح نفسك .. توقيع مستر
(ساجرز) .. »

ثم :

- « الملاحظة التي وأصلح نفسك .. »

- « من ؟ من ؟ »

- « (نيكولاس وتورث) ! »

وراح الرجال يرتجلون أغنية لشرف (هادلبرج) الذي
لا يهتز ..

- « هلم .. استمر في القراءة .. نحن ننال شهرة لا حد
لها ! »

هنا نهض اثنا عشر رجلاً محتجين وقالوا إن هذه المهزلة
أعدها مهرج منبوذ .. وهي إهانة لكل المجتمع .. بالتأكيد
كل هذه التوقيعات مزورة ..

- « اجلسوا واخرسوا ! أنتم تعترفون ! سنجد أسماءكم
في هذه الأوراق !! »

نهض (رتشاردز) البائس ممسكاً بيد زوجته .. كان

رأسها محنياً حتى لا يرى أحد أنها تبكى ، وبصوت متحشرج
قال :

- « أصدقائي .. أنتم عرفتمونا جيداً أنا وامراتى .. طيلة
حياتنا .. وأحسبكم أحببتمونا .. »

قاطعه رئيس الجلسة :

- « اسمح لى .. كل ما تقول حقيقى .. هذه المدينة تحبكمما ..
تحترمكمما .. تعرفكمما .. »

هنا صاح (هاليداي) :

- « لو كان هذا صحيحاً فليعلن الجميع هذا .. هلموا ..
أعلنوا هذا !! »

نهض الجميع وواجهوا الزوجين العجوزين وتطايرت
العناديل فى الهواء كعاصفة جليدية .. هنا واصل المحترم
الكلام :

- « ما أردت قوله يا مستر (رتشاردز) أننا نعرف طبيعة
قلبك .. لكن ليس هذا هو الوقت المناسب لممارسة الإحسان
تجاه المخطئين .. أنا أرى قصدك الطيب لكن لا يمكنك أن
تطلب الرحمة لهؤلاء الرجال .. »

- « لكنى كنت ... »

- « أرجو أن تأخذ مقعدك ياسيدى .. يجب أن نفحص
باقى الأوراق .. فهذا أبسط عدل بالنسبة للرجال الذين
تم كشفهم .. فمتى تم هذا أعدك بأن نسمع ما تريد
قوله .. »

جلس الزوجان .. وهمس الزوج فى أذنها :

- « من المؤسف أن نضطر إلى الانتظار .. سيكون
العار أكبر حين يعرفون أننا كنا فقط نتوسل
لأنفسنا !! »

- « الملاحظة التى وأصلح نفسك .. توقيع مستر
(روبرت تيمارش) .. »

- « الملاحظة التى وأصلح نفسك .. توقيع مستر
(أوسكار وايلدر) .. »

- « الملاحظة التى وأصلح نفسك .. توقيع مستر
(إيفالت ويكس) .. »

وهكذا راح اسم بعد آخر يتلى .. وراح الناس يقضون
وقتًا ممتعًا ما عدا التسعة عشر البائسين ..

وراح (رتشاردز) البائس ينتظر اسمه فى رعب ويعد
الأسماء ..

اللحظة التى ينهض فيها ليكمل كلمته قائلاً :

- « حتى اللحظة نحن لم نفترف خطأ .. مضينا فى
طريقنا واعتدنا الفقر .. بلا ولد يعيننا .. لقد تعرضنا
للإغراء فزللنا .. الآن أنهض وأتوسل لكم ألا يقرأ اسمى فى
هذا المكان العام .. هذه المرة الأولى التى أسمع فيها
اسمى يلفظ من شفتين ساخرتين .. كونوا رحيمين بنا ..
واجعلوا عارنا أقل ثقلاً .. »

همست (مارى) له :

- « اتبته .. اسمك هو القادم .. لقد قرأ ثمانية عشر
اسماً .. »

بحث المحترم (بيرجس) فى يده لدقيقة .. ثم قال :

- « يبدو أننى قرأتها جميعاً .. »

سقط الزوجان فى مقعديهما وقد كادا يفقدان الوعي من
السرور ، وقالت (مارى) :

- « سبحان الله ! لقد فقدت ورقتنا .. ما كنت لأستبدل بهذا
ألف حقيقية ذهب ! »

بينما تعالت الأناشيد لأمانة (هادلبرج) والثمانية عشر
رمزاً نبيلاً فيها ..

هنا نهض (ونجيت) صانع السروج واقترح أن يحيوا
« أنظف رجل في المدينة .. المواطن المهم الوحيد الذي لم
يحاول سرقة المال .. (إدوارد رتشاردز) .. »

وبالفعل حياهما الناس بحرارة ثم اقترح أحدهم أن يكون
(رتشاردز) هو حامى حمى المدينة ورمز أمانتها .. وليقف
بقوة يتحدى العالم الساخر فى وجهه ..

هنا صاح أحدهم :

- « ولكن .. من يأخذ الحقيقية إذن ؟ »

صاح صانع السروج :

- « طبعاً للثمانية عشر رمزاً .. كلهم أعطوا الغريب
عشرين دولاراً والمملوطة .. من حقهم استرداد الدولارات
مع الفوائد ! »

هنا فتح المحترم الورقة الباقية من أوراق الغريب :

- « لو لم يظهر من يطالب ، فإتنى أرغب فى أن تفتحوا
الحقيقة وتعهدوا بما بها من مال إلى المواطنين
الأساسيين فى بلدتكم ، ليستعملوها فى أفضل السبل
لتقدم مجتمعكم والحفاظ على سمعته بالنزاهة التى
لا تفسد .. النزاهة التى ستضيف أسماؤهم لها بريقاً
لا ينطفى .. »

- « ملحوظة : يا مواطنى (هادلبرج) .. لم تكن هناك
ملحوظة .. لم يكن هناك غريب فقير .. ولا ورقة بعشرين
دولاراً .. كل هذه اختراعات .. دعونى أحك لكم القصة
الحقيقية .. »

- « لقد مررت ببلدتكم منذ زمن ما ، وتلقيت إساءة لم
أستحقها .. أى رجل آخر كان سيقتل واحداً أو اثنين منكم
ويعتبر هذا هو العدل ، لكنى شعرت أن هذا غير عادل ..
لأن الموتى لا يتعذبون .. وحتى هذا ما كان ليشبغنى ..
أردت أن أؤذى كل رجل وامرأة فى هذه البلدة .. ليس فى
أجسادهم بل فى غرورهم .. »

- « لهذا عدت لكم متخفياً .. كنتم صيداً سهلاً .. كنتم
مشهورين بالأمانة وكانت هذه قرة أعينكم .. كنز كنوزكم .. »

لاحظت أنكم تبعدون عن الإغراء فعرفت من أين أهاجم ..
إن أضعف مخلوقات الله هي الفضيلة التي لم يتم اختبارها
في النار .. كانت خطي هي أن أفسد (هادلبرج) التي
لا تفسد ..

« أردت أن أصنع كذابين ولصوصاً من رجال
لم يكذبوا في حياتهم ولم يسرقوا مليماً .. وآمل أن
أسحق غروركم وأعطيكم شهرة من نوع جديد ..
لو كنت قد نجحت فافتحوا الحقيقة وعينوا لجنة الحفاظ على
سمعة (هادلبرج) .. »

تصايح الناس :

- « افتحوا الحقيقة ! فليتقدم الثمانية عشر رمزاً ! لجنة
الدفاع عن سمعة (هادلبرج) !! »

وفتحوا الحقيقة فلم يكن فيها إلا قطع من الرصاص ..
افترح صانع السروج أن يتقدم الرموز ليأخذ كل منهم حقه
من هذا الرصاص ..

- « (ويلسون) .. (ويلسون) .. أنت الأول ! »

قال (ويلسون) فى غضب :

- « اسمحوا لى أن أقول ودون اعتذار عن لغتى .. اللغة
على المال !! »

هنا قال صانع السروج :

- « أقترح سيدى الرئيس أن يتقدم الرجال لعمل مزا
بعشرين دولارًا على هذه الحقيقة .. على أن يعطى المال
فعلًا إلى الرجل الأمين الوحيد فى هذه البلدة .. (إدوارد
رتشاردز) .. »

وبدأ المزا .. وتصاعدت الإثارة بينما العطاءات تتزايد .. حتى
وصل المبلغ .. مدفوعًا بالتحدى .. إلى خمسين دولارًا ..
ثم مائة ..

وهمس (رتشاردز) لزوجته :

- « (مارى) .. هل نسمح بهذا ؟ إنها هدية
شرفية .. تقديرًا لشرفنا .. فهل أقبلها ؟ ماذا نفعل
يا (مارى) ؟ »

وكان الثمن يرتفع حتى بلغ 250 دولارًا ..

قالت الزوجة :

- « (إدوارد) .. أنا .. لا أعرف .. لقد أفلتتا من إغراء
وهذا إغراء آخر .. لكن .. فكر في الأمر .. لا أحد
يشك .. »

الآن صار ثمن الحقيقة ألفاً .. وهمست (ماري)
دامعة :

- « أوه .. فكر يا (إدوارد) .. نحن فقيران جداً .. لكن ..
تصرف أنت كما يحلو لك ! »

وجلس الرجل بضمير غير مستريح لكنه عاجز عن اتخاذ
قرار ..

هنا نهض غريب له ملامح المخبر الهاوى ، وقال :

- « ما من أحد من الثمانية عشر يزايد .. هذا ليس
مرضياً .. لا بد من أن أغير هذا .. إن الضرورة الدرامية
تحتّم هذا .. يجب أن يشتروا الحقيقة .. بعضهم ثرى ويجب
أن يدفع .. »

ثم إنه اشترك في المزايدة .. وصارت الحقيقة له عند
مبلغ 1282 دولاراً ...

تعالى الهتاف ثم توقف لأن الرجل قد وقف رافعاً يده :

- « أريد أن أقول كلمة وأطلب معروفا .. إننى أهوى
الغرائب ولى اتصال بهواة العملات عبر العالم ، لكن
لدى طريقة - لو حظيت بموافقتكم - أقيم بها هذه الحقيبة
بما يساوى ثمنها ذهباً .. اضمنوا لى موافقتكم وسوف أعطى
بعضاً من أرباحى لمستر (رتشاردز) .. الذى أدركنا جميعاً
مدى استقامته هذه الليلة .. سيكون نصيبه من الصفقة
عشرة آلاف دولار ، وسوف أعطيه المال اليوم .. فقط
أرغب فى استفتاء عام .. فلو حصلت على أكثر من ثلثى
عدد أصواتكم لاعتبرت هذه موافقة .. اسمحوا لى أن أنقش
على قطع العملة المزيفة هذه أسماء الثمانية عشر
الذين ... »

تعالى التصفيق .. بينما هبت الرموز تحتج على هذه
الإهانة .. وتهدد بأن ...

قال الغريب بهدوء :

- « أتوسل لكم ألا تهددونى .. أنا أعرف حقوقى ولم أعتد
قط أن أخاف من التهديد .. »

هنا وجد الدكتور (هاركنس) الفرصة سانحة ، وكان من
أثرياء المدينة .. ربما الأكثر ثراء هو ومدير المصرف ..
وكان بين الرجلين سباق محموم .. كلاهما يحب المال ،
ويملك أرضاً بلا حساب .. اتحنى على الغريب وسأله
همساً :

- « ما الثمن الذي تدفعه للحقيبة ؟ »

- « أربعين ألف دولار .. »

- « سأعطيك عشرين .. »

- « لا .. »

- « قل ثلاثين .. »

- « الثمن هو أربعون ألف دولار .. ولا ملهم أقل .. »

- « ليكن .. سنلتقى في الصباح في الفندق .. سأقابلك

بشكل منفرد .. »

ونفض الغريب وقال للجمع :

- « أشكركم جميعاً على الموافقة على مطلبي .. لكنى

سأتصرف الآن وإبنى أرجو الرئيس أن يحتفظ بالحقيبة لى معه

حتى الغد .. وأن يعطى هذا المبلغ لمستتر (رتشاردز) ..
غداً في التاسعة سأخذ الحقيقة وسأسلمه باقى العشرة آلاف
دولار فى داره .. »

ثم انصرف تاركاً الجمهور يتناقشون فى صخب .. ثم
عادت الأغنية تتردد ..

★ ★ ★

وفى منزلهما كان على آل (رتشاردز) أن يتحملا التهامي
والمجاملات حتى منتصف الليل .. ثم بقيا وحيدين .. جلسا
صامتين حزينين .. فى النهاية قالت (مارى) :

- « هل تحسبنا نستحق اللوم ؟ »

ثم نظرت إلى رزمة المال الموضوعه على المنضدة .. لم
يبد (إدوارد) ، ثم قال فى تردد :

- « لم تكن فى أيدينا حيلة .. كان هذا مقدرًا لنا .. كل
شيء كان ... »

- « هل تنوى البقاء فى المصرف ؟ »

- « لا .. »

- « تستقيل ؟ »

- « فى الصباح .. نعم .. »

- « ليس قرارًا حكيمًا .. »

- « لم أكن أخشى أن أترك أموال الناس معي فيما
سبق .. أما الآن فأنا متعب يا (مارى) .. متعب .. »

فى التاسعة صباحًا طلب الغرب حقيته .. وفى العاشرة
تحدث معه (هاركنس) بشكل شخصى .. وحصل الغرب
على خمسة شيكات لحامله .. أحدها بمبلغ 38.500 دولار ..
وضعه بعد اتصرف (هاركنس) فى مظروف مع مذكرة
كتبها بيده ..

وفى الحادية عشرة انطلق إلى بيت (رتشاردز) .. طرق
الباب ففتحت له العجوز الباب .. ناولها الشيك واتصرف
دون كلمة ..

شهت المرأة وقالت لنفسها :

- « بالتأكد أنا أعرفه .. أمس بدا لى مألوفًا بشكل ما .. »

- « هل هو الرجل الذى جلب الحقيقة هنا ؟ »

- « أنا واثقة من ذلك .. »

- « إذن هو أيضًا (ستيفنسون) المزيف الذى تلاعب
بالجميع .. وأعتقد أنه خدعنا كذلك .. إن هذا المظروف
لا يمكن أن يحوى باقى العشرة آلاف دولار ، حتى بأعلى قيمة
عملة ممكنة .. ولو كان بالمظروف شيك فلا جدوى منه ..
شيك يحمل توقيع (ستيفنسون) ؟ لقد فررنا من الرجل
بمعجزة أمس وهو مصمم على أن يوقع بنا .. »

هنا صاحبت الزوجة :

- « أوه يا (إدوارد) ! يا للسوء ! »

كانت تحمل الشيكات في يدها ، وصرخت :

- « هلم أحرق هذا الشيك ! لا يجب أن نخضع للإغراء ..

إنها لعبة كي يسخر العالم منا ! أعطها لى مادام هذا ليس
بوسعك .. »

وكان قد لنا من النار فرفع الشيك يدرس التوقيع ، هنا صاح :

- « أنقذيني يا (مارى) ! هذا الشيك صحيح ! إنه كالذهب !

عليه توقيع (هاركنس) .. والشيك لحامله .. »

- « ولكن لماذا يا (إدوارد) ؟ »

- « ربما كان الطبيب لا يريد أن ينتشر الموضوع .. ولكن

ما هذه المذكرة ؟ »

كانت مكتوبة بخط (ستيفنسون) المزعوم .. وكانت تقول :

- « أنا رجل خائب الأمل .. إن أمتك أقوى من أى إغراء ..

لقد تصورت العكس لكنى كنت مخطئاً .. إبنى أعلى من قدرك

وبكل إخلاص .. هذه البلدة لا تستحق أن تقبل حاشية ثوبك ،

وقد راهنت نفسى على أن هناك تسعة عشر رجلاً فاسداً فى

هذه البلدة .. لكنى خسرت .. »



وكان قد دنا من النار فرفع الشيك يدرس التوقيع ..

تنهد (إدوارد) وقال :

- « هذه كلمات كتبت بالنار .. بل وتحرق .. (ماري) .. إنني
تقص بحق .. لو كنت أستحق هذه الكلمات الجميلة ، والله يعط
أنني حسبتي أستحقها يوماً ما .. لاشرت بالأربعين ألف دولار
هذه الورقة .. »

ثم وضعها في النار ..

جاءت رسالة فتناولها وفتحها .. كانت من المحترم
(بيرجس) :

- « لقد أنقذتني في وقت عسير وأنقذتك أنا أمس ..
كان الثمن كذبة لكني قمت بها ممتناً .. لا أحد في القرية
كلها يعرف كم أنت نبيل طيب .. أعرف أنه في أعماقك
لن تستطيع احترامى بسبب التهمة التي أحاطت بي ،
لكني على الأقل أمل أن تعرف أنني رجل لا ينسى
الإحسان .

نجا مرة أخرى ! ووضع الورقة في النار وقال :

- « (ماري) .. أتمنى لو كنت ميتاً .. أتمنى لو ... »

★ ★ ★

بعد أيام بدأت الانتخابات .. كانت هناك لافتة على شكل
نسر ، تحمل على أحد وجهيها عبارة (أنت لم تتحدر إلى
مرتبة الأشرار تماماً) وعلى الوجه الآخر من
النسر عبارة (اذهب وأصلح نفسك .. بتكرتون) ..
وهكذا اختصرت الجريمة في شخص واحد وضحك الناس
كثيراً ، وهكذا أيضاً كان الفوز في الانتخابات من نصيب
(هاركنج) ..

وكان ضمير الزوجين قد بدأ يهدأ بعد هذه الخطيئة ..
لكنهما تعلمتا درساً مهماً هو أن الخطيئة تكون مرعبة إذا
كان هناك احتمال ولو بسيط أن ينكشف أمرها ..

كاتا يذهبان إلى الكنيسة كل أحد ليسمعا ذات المواعظ
للمرة الألف ، حتى فقدت معناها بالنسبة لهما .. لكنهما في
هذه الأيام صارا يجدان المواعظ تلذغهما بالانتهامات ..
كأنها موجهة خصيصاً لهؤلاء الذين يخفون خطاياهم عن
الناس .. ثم كاتا يفران بعد القداس هاربين من شيء
لا يعرفان كنهه جيداً ..

ذات مرة قبلًا (بيرجس) من بعيد فهزا رأسيهما له لكنه لم

يجب .. ثم يرهما ، لكنهما كادا يموتان قلقاً .. ما سر هذا
التصرف وما معناه ؟

هل عرف (بيرجس) أن (رتشاردز) يعرف الدليل على
براءته لكنه لم يجسر على إعلانه ؟

هل كانت صيغته في الخطاب ساخرة حين قال (أعرف أنه
في أعماقك لن تستطيع احترامى بسبب التهمة التي أحاطت بى) ؟
نعم .. هي بالتأكيد ساخرة ..

ثم أين الورقة التي كتبناها ؟ هل يحتفظ بها ليهددنا بها
في وقت ما ؟

وفي منتصف الليل تم استدعاء الطبيب لأن الزوجين
ليسا على ما يرام .. قال الرجل إن السبب هو الضغط
العصبى الذى عاتياه بسبب الثراء المفاجئ .. بعد قليل
ازدادت الأخبار سوءاً .. إن الزوجين يخرفان بالفعل ..
وقالت الممرضات إن (رتشاردز) كان يبحث عن مكان
يخفى فيه شيئاً ..

أما اليوم فالأخبار أسوأ .. لقد أخفى الرجل الشيكات حتى

لا يحدث لها شيء ، لكن حين بحثوا عنها لم يجدوها .. لقد
اختفت تماماً .. وقال المريض للممرضات :

- « دعن الوسائد وشأنها .. ماذا تردين ؟ »

- « كنا نحاول .. »

- « لن تلمس الشيك أبداً .. إنما أرسله الشيطان لى ..
كى يدفعنى إلى الخطيئة .. »

وبالفعل لم يظهر الشيك ثانية قط ..

لكن هلاوس الرجل تزايدت ، وبدأت الممرضات يتكلمن ..
وقيل فى البلدة إن (رتشاردز) كان من المطالبين بالحقية ،
لكن (بيرجس) حماه ولم يقرأ ورقته .. تعالت الأقاويل ..
لكن المحترم (بيرجس) قال لهم إنه من السخف تعليق
أهمية على هלוوسة رجل سقيم ..

ثم تحولت الشكوك إلى إدانة صريحة ، وتخلت البلدة عن
ثقتها الشديدة فى أمانة العجوز ..

بعد ستة أيام جاءت أخير أخرى .. إن الزوجين يموتان .. وفى
هذه الساعات صفاء ذهن (رتشاردز) فأرسل فى طلب
(بيرجس) .

قال (بيرجس) :

- « أخلوا الغرفة .. أحسب لديه ما يقوله فى خلوة .. »

- « لا .. أريد شهودًا ! أريدكم جميعًا أن تسمعوا اعترافى ! كذا أموت كرجل لا ككلب .. كنت نظيفًا بشكل مصطنع مثل الآخرين .. ثم سقطت فى قبضة الإغراء حين جاء .. وقعت أكذوبة وزعمت حقى فى الحقيقة اللعينة .. تذكر (بيرجس) أننى قدمت له خدمة وعرفتًا بالجميل ، أخفى طلبى وأنقذنى .. تعرفون التهمة التى أحاطت بـ (بيرجس) منذ أعوام .. كتبت شهادتى وحدها تستطيع أن تبرئه من التهمة ، لكنى جئت وتركته يواجه العار .. ثم بعدها فعل الشيء المبرر .. لقد ندم على إنقاذى وفضحنى .. »

- « لا .. أنا أقسم على هذا .. »

- « وأنا أسامحك من قلبى .. »

ولم يصل احتجاج (بيرجس) لأذنى المحتضر .. لقد مات الرجل دون أن يعرف أنه آذى (بيرجس) البائس مرة أخرى ..

في الليلة ذاتها ماتت المرأة العجوز .. وجردت البلدة من
آخر ما كان يستر مجدها القديم ..

لم يكن الحداد مبهرًا لكنه كان عميقًا .. وبقرار تشريعي
سمح لـ (هادلبرج) بتغيير اسمها إلى (لاثاول معرفته
فلن أخبرك به) .. ولم يبق لها إلا خاتمتها القديم .

★ ★ ★

المخبر العظيم

الجزء الأول

لا يجب أن نرتكب الخطأ حين يرانا الناس

1

المشهد الأول هو في الريف .. في فرجينيا .. والزمن هو العام 1880 .. كان هناك زوج وسيم نحيل وشابة ثرية .. قصة حب من أول نظرة وزواج سريع عارضه بمرارة أبو الفتاة الأرملة .

كان العريس هو (جاكوب فولر) في السادسة والعشرين من العمر ، من أسرة عريقة لكن لا صيت لها ، هاجرت من (سدجمور) طلباً لصدقة الملك (جيمس) .. هكذا يقولون .. البعض بسوء نية والبعض لأنهم يعتقدون هذا .. العروس في التاسعة عشرة من عمرها جميلة ، فخور بدمها النبيل وتحب زوجها الشاب بحرارة .. فمن أجله ضحت برضا أبيها وتحملت عتابه ، وأصغت بإخلاص لتنبؤاته دون أن تهتز .. وغادرت المنزل دون أن تتال بركاته .

صباح اليوم التالى للزفاف ، كانت مفاجأة سيئة تنتظرها ..
لقد أزاح زوجها ملاطفاتها جانباً وقال :

- « اجلسى .. هناك ما أريد قوله لك .. لقد أحببتك .. كان
هذا قبل أن أسأل أباك أن يمنحنى يدك .. لم يكن رفضه سبب
حزنى ولكن ما قاله لك عنى .. لا .. لا حاجة بك للكلام فأنا
أعرف جيداً ما قال .. أعرفه من مصادر موثوق بها .. قال
إننى وراء خائن جبان .. وإن صفاتى مرسومة على وجهى ..
وإننى قاس بلا رحمة .. أى رجل آخر كان سيذهب لبيته ويطلق
عليه الرصاص ككلب ، لكنى وجدت فكرة أفضل .. أن أجلله
بالعار وأحطم قلبه .. كيف هذا ؟ عن طريق معاملتى لك ..
سأزوجه .. ثم ... تحلى بالصبر فلسوف ترين .. »

ومن هذه اللحظة ولمدة ثلاثة أشهر عانت الزوجة الشابة
كل أنواع المهانة والعذاب التى استطاع عقل زوجها الخلاق
أن يبتكرها .

لكن كبرياءها القوى جعلها تبقى متاعبها سراً .. ومن
حين لآخر يسألها زوجها :

- « لِمَ لا تذهبين لتخبرى أباك ؟ »

ثم يبتكر المزيد من التعذيب .. ويسألها .. فتقول :

- « لن يعرف من فمى أبداً .. »

وكانت تقول إنها ستتحمل لكن ليس إلى ما لانهاية ..
يمكنه أن يقتلها إذا أراد لكنه لن يحطمها ..

في نهاية الأشهر الثلاثة ، قال بلهجة توحى بالشئ :

« جربت كل شيء إلا شيئاً واحداً .. »

قالت له وهي تكور شفيتها في تهكم :

« جربه إذن .. »

في تلك الليلة نهض في منتصف الليل ، وقال لها :

« انهضى والبسى ثيابك .. »

أطاعت كعادتها دون كلام ، فافتادها إلى مسافة نصف
ميل من البيت ، وقيدها إلى شجرة على جانب الطريق ،
وهي تصرخ وتقاوم .. ضربها بالسوط على وجهها وأطلق
كلابه عليها .. حتى مزقت ثيابها .

ثم إنه نادى كلابه وقال لزوجته :

« سيجدونك خلال ثلاث ساعات من الآن .. سيراك الناس

في هذا المنظر المهين .. وسوف يعلم الخبر .. هل تسمعين ؟
وداعاً .. هذه آخر مرة تريننى فيها .. »

وابتعد ..



وقيدها إلى شجرة على جانب الطريق ، وهي تصرخ وتقاوم ..
ضربها بالسوط على وجهها وأطلق كلابه عليها ..

راحت تن بينها وبين نفسها ..

- « إني حامل منه .. فليجعله الله ذكراً ! »

أطلق الفلاحون سراحها ، وكما هو طبيعي انتشرت
الأخبار في كل مكان .. وراح الرجال يبحثون عنه عازمين
على شنقه دون محاكمة ، لكن الطائر كان قد هرب ..
وحبست الزوجة نفسها في دار أبيها وحبس هو نفسه
معه .

لقد تحطم كبرياؤه .. وكذا قلبه .. لذا راح يتلاشى يوماً
بعد يوم .. وحتى ابنته سرت حين أراحه الموت .
بعدها باعت العقار واختفت .

★ ★ ★

فى العام 1886 كانت هناك امرأة تعيش فى بيت متواضع
قرب قرية منعزلة فى (نيو إنجلند) ، لا يرافقها إلا طفل فى
الخامسة .

كانت تقوم بعملها بنفسها ، ولم تشجع أحدا على أن
يتعرفها ، فلم يكن لها معارف .. ولم يستطع الخباز
ولا الجزار ولا كل من تعامل معها أن يخبر القرويين بشيء
عنها إلا أن اسمها (ستيلمان) وطفلها اسمه (أرشى) ..
من أين جاءت ؟ لم يستطيعوا معرفة هذا قط .. لكنهم قالوا
إنها تتكلم كالجنوبيين ..

فى يوم قال (أرشى) لأمه :

- « ماما .. هل أنا أختلف عن الأطفال الآخرين ؟ »

- « حسن .. لا أعتقد هذا .. لم ؟ »

- « هناك طفلة سألتنى إن كان ساعى البريد قد مر ..

فقلت نعم .. سألتنى منذ متى رأيته .. فقلت إننى لم أره قط

وإنما شممت رائحته على الرصيف .. قالت إننى أحقق

غيبى .. فلماذا فعلت هذا ؟ »

شحب وجه المرأة وقالت لنفسها :

- « إنها علامة الولادة (الوحم) .. هدية كلاب الصيد
حلت به .. »

واحتضنت الغلام بحرارة وقالت :

- « لقد اختار الله طريقنا .. »

كانت عيناها تلمعان بضوء وحشى .. وراحت أنفاسها
تتسارع من فرط انفعال .. قالت لنفسها :

- « الآن فهمت السر .. لقد اتضح لى كل شيء .. »

وأجلسته فى حجرها وقالت له :

- « انتظرنى قليلاً حتى أعود يا بنى .. ثم سنعود للكلام
عن الأمر .. »

ذهبت لحجرتها وأخذت من منضدة تجميلها بعض الأدوات
وأخفتها .. مبرد أظفار على الأرض قرب الفراش .. ومقص
تحت المكتب .. وفتاحة أوراق من العاج تحت خزانة الثياب ..
ثم عادت له وقالت :

- « هناك بعض أشياء نسيتهما وكان على أن أجلبها .. »

أسرع الصبى يقوم بما طلب منه .. ثم عاد بالأشياء فسألته :

- « هل كان هذا صعباً يا عزيزى ؟ »

- « كلا يا أماء .. فقط مشيت حيث مشيت أنت .. »

خلال غيابه كانت قد فتحت بعض الكتب ومرت يدها على صفحة معينة من كل كتاب ، وحفظت الرقم فى ذاكرتها .. ثم أعادت الكتب لمكانها وقالت له :

- « قمت بعمل ما فى أثناء غيابك يا (أرشى) ... فهل تعرف ماذا كان ؟ »

جرى الصبى ليحضر الكتب التى لمستها ، وفتحها على ذات الصفحات .

أخذته الأم فى حجرها وقالت :

- « الآن أجيب عن سؤالك يا بنى .. بشكل ما أنت مختلف عن الآخرين .. يمكنك أن ترى فى الظلام وأن تشم ما لا يشمه الآخرون .. إنك تملك مواهب كلب الصيد .. وهى مواهب جمعة النفع لكن عليك أن تبقى هذا سرّاً .. فلو عرف الناس بالأمر لاعتبروك طفلاً غريباً شاذاً ... ولأطلق عليك الصببية كافة الشتائم .. فى هذا العالم على المرء أن يكون مثل أى واحد آخر لو أراد ألا يجنب على نفسه الاحتقار أو الغيرة .. »

وعدها الطفل فى غير فهم ..

وطيلة اليوم ظل عقل المرأة يعد آلاف الخطط والمشاريع
كلها خارقة شريرة .. لكنها أضاعت وجهها بضوء خاص ..
بنيران جحيم غامضة .. لم تقدر على الجلوس أو القراءة
أو النوم ..

جربت قدرات ابنها بعشرين طريقة مختلفة .. وكانت تفكر :

- « لقد حطم قلب أبى .. وجربت طيلة هذه السفين أن
أحطم قلبه عبثاً .. الآن وجدت السبيل .. وجدت السبيل .. »

حين خيم المساء ، كان شيطان القلق مازال يستبد بها ..

لقد استمرت فى تجاربها وأخفت أشياء عديدة فى
البيت .. وأرسلت ابنها فى الظلام ليأتى بها .. وكم كان
فخره حين أطرت عليه ولاطفته معبرة عن إعجابها .

منذ هذه اللحظة صار للحياة وجه جديد .. وقالت لنفسها :

- « إن المستقبل مأمون .. يمكننى أن أنتظر ، وأستمتع

بالانتظار .. »

عادت للموسيقا والرسم وكل المباهج التى أهملتها ..

ومن جديد استعادت مسرات الحياة ..

مرت الأعوام وهى ترقب نمو الصبى راضية ..

لكن الجزء اللين من قلبه كان أكبر من الجزء الصلب ..
كان هذا عيبه الوحيد .. لكنها قدرت أن هيأه بها سيعوض
هذه النقطة .. كان يعرف كيف يكره وقد طمأنها هذا قليلاً ..
مضت الأعوام ، وصار (أرشى) شاباً رياضياً وسيماً ..
معتزاً بكرامته .. تسرك رفقته .. يبدو أكبر من عمره الذى
هو السادسة عشرة ..

ذات ليلة أخبرته أمه أن لديها شيئاً خطراً تقوله له ..
قالت إنه صار كبيراً بما يكفى كى يسمع ما ستقول ، وكى
ينفذ الخطة التى رتبته بصير ..

ثم أخبرته القصة المريرة بفظاعتها .. وشل الفتى
للحظات بينما قالت :

- « نحن جنوبيان .. وليس لدينا إلا شىء واحد نعوض به
ما حدث .. أن نجده ونقتله .. نقتله ؟ كلا .. الموت راحة ..
الموت تحرر .. الموت معروف وأنا لن أسدى له معروفاً ..
لا يجب أن تؤذى شعرة من رأسه .. »

قال الفتى بعد تفكير :

- « أنت كل العالم بالنسبة لى .. ورغباتك هى القانون ..
قولى ما على أن أفعله .. »

لمعت عيناها بالرضا وقالت :

- « ستبحث عنه .. أعرف أين يختبئ منذ أحد عشر عاماً .. اقتضاتى هذا خمس سنوات ومالاً كثيراً .. إنه يستخرج الكوارتز فى (كولورادو) .. وأحواله المادية طيبة .. إنه يعيش فى (دنفر) واسمه (جاكوب فولر) .. أول مرة ألفظ فيها اسمه منذ تلك الليلة التى لا تنسى .. تذكر ! هذا الاسم كان سيكون اسمك لو لم أجنيك هذا العار وأهبك اسماً آخر .. ستبعده عن مكاته .. ستصطاده .. ستطارده .. ستسمع حياته .. تملؤها بأهوال غامضة .. تملؤها بالتعب والتعاسة .. تجعله يشتهي الموت فلا يناله .. لن يعرف الراحة ثانية .. لن يهدأ باله .. لن ينام نوماً مريحاً .. ستطارده حتى تحطم قلبه كما حطم قلب أبى .. »

- « أمرك يا أمى .. »

- « أنا واثقة من هذا أى بنى .. كل شىء جاهز .. هنا خطاب اعتماد لرصيد مصرفى .. أنفق بحرية .. فلا يعوزنا المال .. ولو احتجت إلى أدوات تنكر فقد أعدتها لك .. »

وأخرجت من الدرج بعض الأوراق كلها تحمل هذه الكلمات بالآلة الكاتبة :

جائزة عشرة آلاف دولار

يعتقد أن رجلاً مطلوباً في الولايات الشرقية يقيم هنا بشكل مؤقت . في عام 1880 قيد زوجته إلى شجرة على الطريق العام ليلاً وضربها بالسوط على وجهها ، وجعل كلابه تمزق ثيابها . ثم إنه هرب من البلاد . إلا أن أحد أقاربها قد بحث عنه سبعة عشر عاماً .. عناوين والجائزة المذكورة أعلاه ستقدم لكل من يقدم عنوان المجرم لمن يبحث عنه .

وقالت لابنها :

- « حين تجده وتتعرف رائحته .. ستذهب ليلاً لتلصق هذا الإعلان على بيته .. سيكون هذا الإعلان موضوع كلام المنطقة كلها .. أترك له بضعة أيام حتى يبيع ممتلكاته بسعر معقول .. سنخربه بالتدريج .. حتى يقط ويموت .. »
ثم أخرجت أوراقاً أخرى كتبت عليها :

إلى (جاكوب فولر) :

لديك يوم كي ترتب أمورك . لن يضايقك أحد حتى تنتهي المهلة في .../..../. وبعدها يجب أن ترحل . ولو بقيت حيث أنت بعد الوقت المذكور ، سأعاقب على كل جدران المدينة قصة جريمته كاملة مع الأسماء والتواريخ . لقد جلبت الموت لرجل عجوز وحطمت قلبه ، وسوف تعاني ما عاناه .

وقالت لابنها :

- « لا توقع .. يجب أن يتلقى هذه قبل أن يعرف بإعلان

الجائزة .. حتى لا يجن ويغادر المكان في الحال .. »

- « لن أنسى .. »

- « سوف يطيع الأوامر .. هذا أكيد .. »

★ ★ ★

من الخطابات الموجهة للأم :

دنفر - 3 إبريل 1897

منذ أيام أعيش في ذات الفندق مع (جاكوب فولر) ..
شممت رائحته ، وبوسعى أن أجده وسط كتبية مشاة .. لقد
دنوت منه مراراً وسمعتة يتكلم .. إنه يملك منجماً ممتازاً
يدر عليه عائداً طيباً .. إلا أنه ليس ثرياً .

إنه رجل مرح لا تبدو عليه أعوامه الثلاثة والأربعون ..
لم يتزوج قط ثانية ويعتبر نفسه أرمل .. إنه محبوب وله
شعبية .. ويبدو أن الدم الأبوى في عروقي يطالب بحقه ،
لأننى بدأت أنجذب إليه نوعاً .. يا لغباء وعدم معقولية
بعض طبائعنا .. أكثرها في الواقع !

لقد صارت مهمتى أصعب وبدأت نيران الكره تتطفيئ ، لكننى
سأقوم بالمهمة .. حتى ولو ذهبت المتعة فإن الواجب يبقى ..
وبه للمما يثير حفيظتى أن أنكر أن من ارتكب هذه الجريمة
الشنيعية لم يقاس من تبعاتها .. يبدو أنه تعلم دروساً وقد تغيرت
شخصيته ، وهو راض عن هذا التغيير .. هو الآن لا يشعر بشيء

بينما - أنت الضحية - تحملين كل ويلات الجريمة على رأسك ..

لكن لا تقلقى .. فلسوف يحصد نصيبه من العقاب .

★ ★ ★

سيلفر جالش 19 مايو :

قمت بإلصاق الإعلان فى منتصف ليلة 3 أبريل ، وبعد ساعة بسست النموذج رقم 2 تحت باب غرفته .. وأُنذرتَه بأن يغادر (دنفر) قبل منتصف ليل الرابع عشر من الشهر .

يبدو أن أحد الصحفيين الساهرين وجد ما وضعته .. هكذا حصل على معلومات قيمة وملاً (المغرفة) كما يصفون هذا العمل فى مهنته .. وتأكد من أن أية جريدة أخرى لن تعرف ما عرفه ، هكذا صدرت الجريدة وعلى صفحتها الأولى هذه الأخبار ببنت عريض مع مقال تحليلي ملتهب ، ثم أضافت الصحيفة ألف دولار إلى مكافئتنا السابقة ! إن الصحف هنا تعرف كيف تفعل أشياء نبيلة حينما تكون هناك منفعة مادية من هذا .

فى الصباح اخترت مقعدى الذى يعطينى نظرة واضحة على وجه بابا (فولر) ..

كان هناك نحو خمسة وسبعين أو مائة رجل في الغرفة ..
وكلهم يناقش الموضوع ، ويتمنى أن يجد الباحث الوغد
وينظف المدينة من وجوده الملوث .

وحين وصل (فولر) كان نموذج طلب الرحيل مطويًا في
يده ، والجريدة في الأخرى .. لقد ولى المرح من وجهه
وبدا عجوزًا شاحبًا .. ثم فكرى الآن في الأشياء التى عليه
أن يسمعها !

لقد سمع أصدقاءه غير المرتابين يصفونه بنعوت
مأخوذة من قواميس الشيطان غير المسموح بتداولها ،
والتي يحتفظ الشيطان بها تحت الأرض .. والأسوأ أنه كان
يجب أن يقر الاتهامات ويهمل لها .

كان من الواضح أن شهيته تبخرت .. فقط كان يقرض
الخبز ، وقال له رجل :

- « من المحتمل جدًا أن هذا القريب في الغرفة معنا ،
يسمع ما تفكر فيه هذه البلدة بصدد ذلك الوغد .. أتمنى
هذا .. »

من المثير للشفقة أن ترى كيف أن (فولر) هب واقفاً ..
ولم يعد يحتمل المزيد .

لعدة أيام أشاع أنه ابتاع منجماً في المكسيك ، ويريد بيع كل شيء والرحيل إلى هناك بأسرع ما يمكن . أنه سيأخذ 40.000 دولار وهو ربع الثمن نقداً ، والباقي نسي تسيكات .. في النهاية باع بثلاثين ألف دولار .

كنت أراقب كل هذا طيلة الوقت ، فما إن تمت الصفقة حتى التصقت بطريق (فولر) دون أن أتركه لحظة .. وبعد منتصف ليلة اليوم الحادى عشر من الشهر ، ذهبت لحجرتي التي كانت تبعد عن غرفتي بأربع غرف في ذات الردهة ، ثم ارتديت ثياب التكر التي تجعلني أبدو كعامل في يوم موحد مطير .. وجلست في حجرتي في الظلام بحقيبة صغيرة وبابى شبه مفتوح .. لأننى قررت أن الطير قد يفر الآن ..

بعد نصف ساعة مرت امرأة تحمل حقيبة .. فشمت رائحة مميزة .. وتبعتها لأدرك أن هذا (فولر) .. لقد ترك الفندق ومشى في شارع غير مطروق ، تحت أمطار ضعيفة وظلام دامس ، ثم استقل عربة يجرها حصانان ، كانت تنتظره حسب موعد .. اتخذت مقعدى بلا دعوة على مؤخرة العربة وانطلقا مبتعدين .. ثم توقفت العربة عند محطة القطر وانصرفت .

جلس (فولر) تحت مظلة فدخلت وراقبت شباك التذاكر ..
لم يبتع (فولر) تذاكر وكذا أنا ..

جاء القطار فاستقل عربة ، وركبت أنا ذات العربة عند
نهايتها وجلست خلفه ، فلما ذكر وجهته للمحصل ابتعدت أنا
للوراء بضعة مقاعد .. ودفعت ثمن تذكرة للمكان ذاته ..

ومنذ هذا الوقت ولمدة أسبوع كان كلما يقوننى فى روضة ..
راح يسافر هنا وهناك .. دائماً باتجاه الغرب ، لكنه لم يتردد ثياب
المرأة قط بعد هذا .. لقد تنكر فى ثياب عامل مثلى وثبت شارباً
مستعلاً زائفاً .. كان بارعاً وحتى أقرب أصدقائه ما كان ليتعرفه .

أخيراً أقام هنا .. أكثر المعسكرات الجبلية ثوارياً فى
(مونتانا) .. إن لديه كوخاً ، وهو يتجنب المجتمعات ..
أعيش فى منزل نعامل مناجم .. وهو مكان لا يطاق ..
الفراش .. الطعام .. القذارة .. كل شيء ...

الآن لنا هنا أربعة أسابيع ، وفى هذا الوقت رأيت مرة ..
بمجرد أن اطمأنت على أنه استقر ، حتى أبرقت إلى (دنفر)
كى يبقوا متاعى عندهم إلى أن آتى لأسترده ..

لا حاجة بى لمتاع هنا إلا القمصان وقد جلبت بعضها معى ..

★ ★ ★

سيلفر جالش 12 يونيو :

لم تصل قصة (دنفر) إلى هنا .. أنا أعرف جل الرجال
ولم يشيروا لها قط .. لا بد أن فولر يشعر بأمن تام ..

لكن شد ما تغير ! لم يعد يبتسم ولا يتكلم .. هو الذى كان
مولعاً بالصحبة منذ شهرين ، رأيته يمشى عابساً وقد راحت
الخفة الوثابة من خطواته .. وهو يطلق على نفسه اسم
(ديفيد ويلسون) ..

لو لم نضايقه سيظل هنا أبداً .. لكنى سأضايقه ، وإن
كنت لا أعرف كيف يمكنه أن يكون أتص من هذا ..

سأعود إلى (دنفر) لأنعم بحمام وأستبدل ثيابه وأكل
طعاماً محترماً .. ثم أسترده متاعى ..

دنفر 19 يونيو :

يفتقدونه هنا : ويتمنون أن تكون أحواله طيبة فى
المكسيك .

أعترف أننى أتكأ هنا .. لكن لو كنت مكاتى لشعرت
بالشفقة على ..

لكن لو كنت مكانك بكل هذه المرارة فى قلبى ، لشعرت
بما تشعرين به .. سأخذ قطار الليل عائداً فى الغد .

★ ★ ★

دنفر 20 يونيو :

ليسامحنا الله ! أنا وأمى نطارد الرجل الخطأ !

لم أتم طيلة الليل .. انا الآن فجراً أنتظر القطار ولكم
تتأقل الدقائق .. كم تتأقل !

إن (جاكوب فولر) هو ابن عم المذنب .. كم كنا أغبياء حين
فلقنا أن المذنب ما كان ليحتفظ باسمه بعد هذا العمل الشيطانى !

إن (فولر) (دنفر) أصغر بأربعة أعوام من الآخر ..
جاء هنا وهو أرمل عام 1879 .. وكان هذا قبل زواجك
بعام . وكل الوثائق تثبت هذا . أمس تحدثت مع أصدقاء له
عرفوه منذ جاء هنا .. لم أقل شيئاً لكنى سأعيد له لبلدته
ثانية وأعوض ما خسره فى منجمه .. ستكون هناك مادية
وموكب تحفه المشاعل .. ولن ينفق أحد مليمًا سواى .
تسمين هذا مبالغة فى العواطف ؟ ربما .. فلا تنسى يا أماه
أنى صبى .. وأنتى لن أعود صبياً ثانية .

★ ★ ★

سيلفر جالش 3 يوليو :

أماه .. لقد رحل ! رحل بلا أثر !

لقد زالت الراحة لدى وصولي .. أتمنى لو لم أكن
غلاماً .. كي أتحمّل الصدمات بشكل أفضل .. الجميع
يعتقدون أنه رحل غرباً .. سأرحل الليلة .. لا أعرف إلى
أين .. لكن البقاء ساكناً حيث أنا هو تعذيب لا أكثر ..

بالطبع منح نفسه اسماً وتكرّراً جديدين .. هذا يعني أنني
قد اضطر لتفتيش كل الكرة الأرضية بحثاً عنه . هل ترين
يا أمي أنني صرت الآن (اليهودي القاتل) ؟ هل تدركين
ما في هذا من سخريّة ؟ كنا قد أعددنا هذا المصير لواحد
آخر ..

يجب أن أجده .. إن لك عقلاً أفضل من عقلي
فساعديني ..

لدى دليل واحد .. واحد فقط .. أنا أعرف خطه ..
ولو وضع اسمه المزيف الجديد في دفتر نزلاء فندق ،
سأعرفه على الفور لو رأيته .

★ ★ ★

سان فرانسيسكو 28 يونيو 1898 :

تعرفين كيف فتشت الولايات بعناية من (كولورادو)
حتى المحيط الهادى .. وكيف كدت أظفر به مرة ..

كان هذا هنا .. أمس .. شممت رائحته فى الشارع ، وتتبعها
إلى فندق رخيص . كان هذا خطأ باهظاً .. فأى كلب كان
سيتمجه فى الاتجاه العكسى .. لكنى جزء من كلب ويمكن أن
أصرف بغباء كالبشر حين أتوتر .

لقد أقام فى هذا الفندق عشرة أيام ، وهو لا يبقى فى أى
مكان فترة طويلة . مازال يستعمل الاسم الذى كان يحمله
حين كدت أجده منذ تسعة أشهر (جيمس ووكر) .. لا بد
أنه الاسم الذى اتخذه حين فر من (جالش) .

إنه رجل بسيط لا يهوى الأسماء الرنانة ..

قالوا لى إنه ارتحل منذ ساعات فى رحلة ولم يترك
عنواناً .. ولم يقل إلى أين هو راحل . لم يكن معه من متاع
الإحذية رخيصة يحملها دوماً ..

- « عجوز بخيل شحيح ولن يسبب خسارة للفندق »

عجوز ؟ أعتقد أنه كذلك الآن ..

خرجت أفنتى أثره فافتادنى إلى رصيف الميناء .. أماه ..
إن دخان القارب البخارى الذى أخذه كان يتلاشى من الأفق !
كنت سأدخر نصف ساعة لو عشت فى الطريق العكسى من
البداية ..

إن هذه السفينة تتجه إلى (ملبورن) فى (أستراليا) .

★ ★ ★

وادی الامل كاليفورنيا 3 أكتوبر عام 1900 :

من حقا أن تشكى .. إن خطابا واحدا فى العام هو شح
حقيقى . لكن ما عسى المرء يكتبه إن لم يكن لديه ما يحكيه
إلا الفشل ؟

حكيت لك كيف فقدت الرجل فى (ملبورن) ، وكيف بحثت
عنه فى أستراليا كلها ..

حسن .. بعد هذا تبعته إلى الهند .. وكدت أقابله فى
(بومباى) .. (كلكتا) .. (روالبندى) .. كل مكان .. أسبوعا
بعد أسبوع .. وشهرا بعد شهر .. فى كل مرة أكاد ألمسه
لكنى لا أظفر به أبدا ..

ثم تبعته إلى .. لا عليك .. سأحكى هذا بالتفصيل فيما بعد ..

تبعته إلى (كاليفورنيا) .. فالمكسيك .. فكاليفورنيا ..
أعتقد أنه ليس بعيدًا عن (وادي الأمل) ..

أنا متعب حتى الموت يا أمي .. واقتربت من اليأس النهائي ،
لكن عمال المناجم هنا قوم طيبون .. وطريقتهم المرححة الطلقة
تنعش المرء وتجعله ينسى متاعبه .

أعيش منذ شهر مع فتى يدعى (سامي) أو (هيليار) .. في
الخامسة والعشرين من عمره ، والابن الوحيد لأمه .. مثلي ..
يكتب لها كل أسبوع ..

إنه فتى لطيف لكن من ناحية الذكاء يمكنه أن يشعل النار
في نهر .. لكن الكل يحبه .. والجلوس معه يشعر بك بأنك تأكلين
عيشًا وملحًا ولحمًا .. ولكم اشفق على (جيمس ووكر) ..
لقد كان يحب الصحبة .. وله أصدقاء كثيرون ..

إن قلب (هيليار) أنظف من قلبي .. أنظف من قلب كل
من في الجوار .. وهو الصديق الوحيد لوصمة عار المعسكر
المدعو (فلينت باكنر) .. والرجل الذي يكلمه (فلنت)
أو يسمح له بالكلام معه ..

في إحدى المحادثات قال لي :

- « (فلينت) قريب لي .. وهو يصب كل متاعبه عندي ..

إن صدره يوشك على الانفجار بما فيه من أسرار .. لا يوجد
رجل أكثر منه تعاسة يا (أرشى) .. حياته سلسلة من المشاكل
وقد فقد الشعور بالراحة والسلام .. الأعوام تمضي .. وهو
لا يعرف ما معنى الحظ الحسن فهو لم ينل قسطاً منه قط ..
ويقول دوماً إنه راغب في أن يجرب الجحيم الآخر .. فقد
سئم هذا الجحيم .. »

★ ★ ★

ما من سادة مهذبين يذكرون الحقيقة العارية في وجود سيدات

كان يوماً عطراً نضراً في أول أكتوبر . وقد أضيئت زهور
الليلاك بنيران الخريف المجيدة ، معلقة تتوهج في الهواء ..
وعبق الزهور الموسمية يرتفع في الهواء وفي كل مكان تجد
الصمت والهدوء والسلام الإلهي .

الوقت هو أكتوبر .. 1900 .. (وادي الأمل) هو المكان ..
منجم للفضة بعيداً في منطقة (إزميرالدا) . إنه موضع بعيد
منعزل .. يعتقد سكانه أنه مليء بالمعدن الثمين .. ولنسوف
يعرفون هذا بعد عام أو عامين من التنقيب .

بالنسبة للسكان يحوى المعسكر مائتى عامل تنجيم ،
وامرأة بيضاء وطفلها ، وعدة صينيين يقومون بالفضيل ،
ودستة هنود بلا قبيلة يلبسون جلد الأرانب .

لا توجد طواحين هنا ولا كنيسة ولا جرائد . إن المعسكر
أنشئ منذ عامين ، فلم يسمع العالم شيئاً عن اسمه ومكانه .
هناك تقف الجبال شامخة حول مجتمع من الأكواخ ، ليس
فيه ما يستحق أن تدعوه بيتاً إلا الخان . إن الخان يقع في

منتصف الموقع وهو ملتقى الناس ليلاً . هناك يلتقون
ويشربون ويلعبون الدومينو والد (سفن أب) .. وربما يلعبون
بعض البلياردو كذلك ..

كان كوخ (فليينت بكنر) يقع جنوباً ، وهو أحدث كوخ
تم بناؤه . كان الرجل نفسه شخصاً فظاً غير اجتماعي
بلا رفقة .. وكل من حاول تعرفه ندم على ذلك . ولم يكن
تاريخه معروفاً ، وإن زعم البعض أن (سامي) يعرفه ..

كان معه شاب في السادسة عشرة من عمره اسمه
(فتلوك جونز) .. وكان الشاب يقول إن (فلنت) وجدته شريداً ،
وقد وجد أنه من الحكمة أن يبقى مع (فلنت) برغم معاملته
القاسية له لأن الفتى بلا أقارب ولا أصدقاء .. على الأقل من
أجل الراتب الذي لم يزد على الفاصوليا واللحم المقدد .

فيما عدا هذا لم يكن لديه ما يضاف ..

حاول الناس أن يساعدوا (فتلوك) وحاولوا إقناعه بترك
(باكندر) لكن الفتى خاف من الفكرة ..

ألح عليه (بات رايلي) قائلاً :

- « اترك الأحمق العجوز وتعال معي .. لا تخف .. لسوف
أعنى به .. »

شكره الصبى دامعاً وقال :

- « لا أجرق على هذا .. إن التفكير فى هذا يشعرنى بالغثيان
يا مستر (رايلى) .. »

لم يفهم القوم هذا الموقف .. لقد استمرت تعاسة الفتى
أسبوعاً بعد أسبوع . لكن لو عرف الناس كيف يمضى وقته
لفهموا .. كان يبيت خارج الكوخ يجتر جراحه وكدمات
جسده وكرامته ، ويفكر فى الطريقة التى يقتل بها (فلينت)
من دون أن يقبض عليه .

كانت هذه مسرته الوحيدة فى الحياة ، والساعات الوحيدة
التي يتطلع إليها طيلة اليوم .

فكر فى السم .. لكن هذا لا يصلح .. سيعرف المحققون
من أين جلبه ومن فعل هذا ..

فكر فى طلقة فى الظهر ، لكن ربما كان هناك أحدهم قريباً ..

فكر فى طعن الرجل وهو نائم ، لا .. ربما جاءت ضربته
غير موفقة .. وأمسك به (فلينت) ..

فكر فى مائة طريقة ، وكلها غير صالحة .. فى كل منها
مخاطرة أو فرصة أو احتمال القبض عليه ..

لكنه كان صبوراً .. صبوراً بلا نهاية .. لا داعى للعجلة ..
فلن يفارق (فلينيت) إلا جثة هامدة .. إن الحل فى مكان ما
ولسوف يتحمل الألم والإهانة حتى يظفر به .

فى مكان ما توجد طريقة أكيدة وبلا خطر ، وعندها ستبدأ
بهجة الحياة ! وحتى ذلك الحين سيحافظ على صورة
الخنوع الخاضع أمام القوم .. ولن يدع أحداً يسمع منه
كلمة سوء فى حق معذبه ..

قبل نهار أكتوبر الذى تكلمنا عنه بيومين ، ابتاع (فلينيت)
بعض الأشياء لكوكبه .. جلب صندوقاً من الشمع .. وعلبة
من البارود ولفة فتيل .. وقدر (فتلوك) أن أعمال (فلينيت)
فى المنجم دنت من ذروتها ..

كان قد رأى التفجير من قبل . لكنه لم يعاون فيه قط ..

فى الصباح حمل الاثنان الفتيل والمثقاب وعلب البارود .. كان
ارتفاع المنجم ثمانية أقدام ، ولهذا كاتا بحاجة إلى سلم قصير .

نزلا .. وبناء على الأوامر حمل (فتلوك) المثقاب دون أية
تعليمات عن طريقة عمله .. وهكذا طار المثقاب من يده :

- « يا بن الزنجى الأجرب !!! هل هذه طريقة حمل مثقاب ؟

التقطه .. قف ! سأدبرك !! »

وبدا الصبي يصب البارود في الحفرة ..

- « أحمق !! »

وهوت ضربة قوية على فكه أوقعته أرضاً .

- « أولاً ثبت الفتيل .. ثم ضع البارود .. توقف ! توقف

هل تنوى أن تملأ الحفرة كلها ؟ ضع بعض التراب .. ضع

بعض الحصى .. قف .. قف ! »

وراح يدك الشحنة بنفسه .. وهو مازال يلعن وينطق

بعبارات التجديف كأنه شيطان . ثم لأنه أشعل الفتيل وخرج

من النفق ثم ابتعد خمسين ياردة .. وتبعه (فتلوك) ..

ووقفاً بعيداً ينتظران ..

اندفعت سحابة من الدخان والصخور في الهواء ، مع انفجار

كالرعد .. وبعدها اتهمر شلال من الصخور . ثم عاد الهدوء .

قال السيد :

- « وددت من الله لو كنت أتيت في هذا الانفجار !! »

ونزل الرجلان الفتحة ونظفاها ، ثم حفرا ثقباً آخر ..

- « كم من الفتيل تنوى تبديده ؟ ألم تتعلم كيف تضبط

زمن الاشتعال ؟ »

- « نعم يا سيدى .. »

- « لا تعرف ؟ أنت تفوق أى شىء رأيته .. »

ثم خرج من الفتحة وصاح :

- « حسن يا أحمق ! هل ستبقى هنا كل اليوم ؟ اقطع
الفتيل وأشعله .. »

ثم إنه فى غضبه حمل السلم وجرى مبتعداً ، فأصيب الفتى
بالهلع وقد وجد نفسه وحيداً فى الحفرة التى ستفجر حالاً ..

تراجع للحائط ، وقد أثار الصوت فزعه .. وقف عاجزاً
عن التفكير أو العمل .. بعد ثوان سيطير فى السماء وقد
تحول إلى قطع . ثم جاءت فكرة .. جرى إلى الفتيل وانزع
البوصة التى بقيت فوق الأرض .. وهكذا نجا ..

بعد خمس دقائق زحف (باكتر) إلى الحفرة .. كان قلقاً
لا يفهم .. واختلس النظر إلى داخلها .. هنا فهم ما حدث ..
أنزل السلم فى الحفرة فزحف الصبى نحوه بوهن ، كان
غاية فى الشحوب وفى مظهره ما زاد من قلق (باكتر) ..

قال (باكتر) فى نوع من الندم :

- « كان حادثاً كما تعلم .. لا تقل شيئاً عن هذا لأى واحد .. »

كنت متحمساً ولم أدر ما أفعله .. أنت لا تبدو على ما يرام ..
توجه إلى كوخى وكل ما تريد واسترح .. هذا حالت لا أكثر .. »
قال الفتى :

- « لقد أثار رعبى .. لكنى تعلمت شيئاً جديداً .. فلا تضايق
نفسك .. »

راح (باكنر) يتابعه بعينيه ..

ترى هل يتكلم ؟ ليت الانفجار قتله ..

لكن الفتى لم ينتهز الفرصة ليستريح ، بل راح يعمل .. فى
حماسة وسعادة .. كانت هناك أجمة من الشجيرات قرب كوخ
(فلينت) . وكان جل عمل الفتى فى الظلمات العنيدة لهذه
الأشجار . والباقى تم فى كوخه . فى النهاية تم كل شيء وقال :

- « لو شك فى لفتى سأخبر الناس عنه ف سأعرف هذا سريعاً ..
سيؤكد من أنتى ما زلت ذلك المعتوه النكرة كما كنت دوماً ..
لكن ليلة بعد غد هى نهايته .. ولن يعرف أحد من قتله ولا كيف
تم هذا .. لقد أعطانى الفكرة بنفسه وإن هذا لغريب .. »

★ ★ ★

وجاء اليوم التالي ورحل ..

إنه الآن منتصف الليل تقريباً ، وبعد خمس دقائق يبدأ اليوم الجديد . المشهد هو غرفة البلياردو فى الخان . رجال خشنو المظهر فى ثياب خشنة .. بعضهم بسترآت ولا معاطف .. كلهم مجتمع حول الموقد أحمر الخدين يعثر النفاة البهيج .

كرات البلياردو ترتطم .. والرجال يبدو عليهم السأم والترقب .. هناك عامل مناجم ضخم الكتفين فى منتصف العمر ، ذو نظرة غير ودود .. ينهض ويلف لفة من الفتيل حول ذراعه .. يجمع بعض أشياء خاصة به ثم يرحل دون كلمة أو تحية . إنه (فلنت باكنر) ..

فما إن اتغلقت الأبواب خلفه حتى دوى أزيز الكلام عنه ..

قال الحداد (جيڪ باركر) (*) :

- « هذا أكثر الرجال انتظاماً فى المواعيد .. يمكنك أن تعرف الساعة الثانية عشرة حين تراه يرحل دون أن ينظر لك .. »

(★) (اعترف أن ترجمة هذه المحاوره غير أمينه ، بسبب أنها تجرى بلسان عمال المناجم .. إن حديثهم ممتع لكن ترجمته حرفياً شبه مستحيله ..)

قال عامل المناجم (بيتر هوز) :

- « وتلك فضيلته الوحيدة على قدر علمي .. »

قال (فيرجسون) موظف (ويلز فارجو) شركة النقل الشهيرة :

- « إنه وصمة لهذا المجتمع .. »

قال عامل المناجم (هام ساندوتش) :

- « هل يذكر أحدكم أنه دعاه إلى الشراب ؟ »

- « من ؟ (فلنت باكنر) ؟ »

اندفع هذا التيار من التعليقات الساخرة من كل صوب ..

وبعد صمت قال (بات رايلي) عامل المناجم :

- « إنه للغر ذلك الوغد .. ولفتي لغز آخر .. لا أفهم شيئاً .. »

قال عامل المناجم (هام ساندوتش) (*) :

- « ولا أحد يفهم .. لكن لو كنا لغزين فكيف نقيم هذا

الآخر ؟ إنه يفوقهما في الغموض كثيراً .. »

- « لك أن تراهن على هذا .. »

وافق الجميع على هذا ، ما عدا واحداً .. كان هو الوافد

(*) معنى اسمه هو (شظيرة فخذ الخنزير) ..

الجديد (بيترسون) .. لقد دعا الجميع إلى الشراب وسأل
عن كنه الشخص الثالث . أجاب الجميع على الفور :

- « (أرشى ستيلمان) ! »

تساءل (بيترسون) :

- « هل (أرشى ستيلمان) نغز حقاً ؟ »

قال موظف (ويلز فارجو) (فيرجسون) :

- « إنه الغموض ذاته .. وبالنسبة له يغدو البعد الرابع
شيئاً مفهوماً .. »

فقد كان (فيرجسون) متعلماً ..

وكان (بيترسون) يرغب في سماع كل شيء .. وكان
كل واحد مستعداً لسرد القصة .. لكن البارمان أصر على أن
يدعو أحدهم الآخرين للشراب بالدور .. وبدأ (فيرجسون) الكلام :

- « حسن .. هو صبي .. وهذا كل ما نعلمه عنه .. ولن
تحصل على شيء آخر منه .. لن تعرف نواياه .. يمكنك أن
تخمن .. تحاول حتى يسود وجهك وهو كظيم .. لكن
ما الذي تصل إليه ؟ إلا أن له موهبة غريبة سمها موهبة
أو سحراً .. اختف من أمامه في أى مكان تريد ، ولنسوف
يصل إليك ويخرجك من مكانك .. »

- « أنت لا تعنى هذا .. »

- « لكنى أعنيه .. إنه لا يرى فى هذا شيئاً صعباً أو موهبة

خاصة .. ولا يبالى بالبرد أو الظلام أو المطر .. »

- « أنت لا تتحدث عن الضباب ؟ »

- « ضباب ؟ إن له عيناً تخرق الضباب كأنها الرصاص .. »

- « إذن هو الشيطان ذاته !! »

- « كثيرون فكروا فى هذا .. والآن دعنى أحك لك شيئاً

فعله .. ليلة أول من أمس .. »

هنا دوت جلبة بالخارج ، وانفتح الباب .. ودخل حشد

متحمس يتقدمه امرأة المعسكر البيضاء الوحيدة ، وهى تصيح :

- « طفلتى ! طفلتى ! لقد ضاعت ! بالله عليكم ساعدونى

كى نجد (أرشى ستيلمان) فقد بحثنا فى كل صوب .. »

قال البارمان :

- « اجلسى يا مسز (هوجان) .. ولا تقلقى .. لقد طلب

منى فراشاً منذ ثلاث ساعات .. (هام ساندوتش) .. اصعد

وأيقظه .. إنه فى رقم (14) .. »

سرعان ما هبط الفتى متأهباً .. وسأل الأم عن بعض

التفاصيل .

- « للأسف ليست هناك تفاصيل يا عزيزى .. ولست لدى
تفاصيل .. أرقدتها فى فراشها فى الساعة مساء .. وحين
صعدت للفراش منذ ساعة ، لم أجدها .. ذهبت لكوكبك فلم
أجده هناك .. ورحت أبحث عنك فى كل مكان .. لكن الآن
وجدتك ولله الحمد .. ولنسوف تجدها لى .. »

- « حسن .. اذهبى لكوكبك ياسيدتى ولنسوف ألحق بك .. »
وخرج الجميع من الحانة لبدء البحث .. وسرعان
ما بلغوا كوخ (هوجان) .
قال (أرشى) للأُم :

- « هاتى لى مصباحاً .. »
وركع على الأرض الصلبة متظاهراً بأنه يفحصها ..
وقال وهو يشير بإصبعه إلى الأرض :
- « هذا هو دربها .. هل ترون ؟ »

نظر الرجال وأقنع بعضهم نفسه بأنه يرى آثاراً بينما
اعترف آخرون بأن الأرض ناعمة لا تظهر شيئاً على
الإطلاق .. أو أن عيونهم ليست بهذه الحدة ..

خرج (ستيلمان) من الغرفة واتجه إلى اليسار وقال :
- « وجدت أثرها .. اتبعونى .. »

ولمسافة ميل ونصف مشى الفتى وهو يحمل المصباح
بين الأشجار الكثيفة ودار دورة ونصف حول نفسه .. ثم
قال لهم وهو يشير إلى جذع شجرة :

- « هنا جلست المسكينة بعد ما أرهاقها المشى .. هل
ترون ؟ »

لكن أيًا من الرجال لم يستطع أن يرى شيئًا على الجذع
الأملس كالصلب .. لكن الأم الحزينة ركعت وطبعت قبلة على
الجذع ، وأعولت :

- « لكن أين هي إذن ؟ »

دار (ستيلمان) في دائرة حول المكان .. وهو يرفع
الفايروس متظاهراً بالبحث عن آثار ..

ثم قال في ضيق :

- « حسن .. لا أفهم هذا .. »

وعاد يتفحص المكان :

- « كانت هنا .. لم تغادر هذا المكان .. هذا أكيد .. هذا

لغز .. لا أستطيع تفسيره .. »

هنا فقدت الأم صوابها :

- « آه يا إلهي الرحيم !! ثمة وحوش طائفة اختطفتها
من هنا !! لن أتحمل هذا ! »

- « لا تقلقى .. سنجدها .. »

أمسكت الأم بيده ولتتمتها وقالت :

- « ألا بارك الله فيك يا (أرشى ستيلمان) »

همس (بيترسون) فى تهكم فى أذن (فيرجسون) :

- « تمثيلية بارعة .. لكن ما كان يجب أن يجعلنا
نمشى كل هذه المسافة .. كان أى مكان قريب يؤدى
الغرض نفسه .. »

هنا هتف (أرشى) وهو يشير إلى الأرض :

- « انظروا جميعاً هنا !! كان الجواب أمامنا طيلة الوقت
ولم نره .. »

ونظر الجميع إلى حيث أشار (أرشى) فلم يروا شيئاً ..

- « أحقاً لا ترون شيئاً ؟ انظروا .. هذا هو أثر (إنجن
بيلى) .. لقد أخذ الطفلة .. »

هتفت الأم :

- « رحمتك يارب ! »

- « خذوا المصباح واتبعونى ! »

وراح يجرى بين الأشجار ثلاثين ياردة .. ثم اختفى خلف مرتفع من الرمل .. لحق به الرجال فوجدوا كومة من البطاطين وأغطية الجياد المكومة على شكل خيمة هندية صغيرة .. وبين الفتحات ضوء خافت ..

قال الفتى :

- « أنت قائدتنا يا مسز (هوجان) .. أنت أولنا .. »

ومشى الجميع ليروا ما بداخل الخيمة الهندية ..

كان (إنجين بيلى) جالساً على الأرض والطفلة نائمة بجواره .. احتضنتها الأم فى حرارة ونهم .. واتهمرت الدموع من عينيها .. وبصوت مختنق صبت ذلك الشلال الثمين من العواطف الذى لا يمكن أن يوجد إلا فى قلب أيرلندى ..

قال (بيلى) :

- « وجدتها فى العاشرة مساء .. كانت نائمة هناك .. متعبة .. دامعة .. تبكى .. حملتها لهنأ وأطعمتها .. كانت جائعة .. ثم نامت .. »

احتضنته الأم في تاج عاطفتها وأطلقت عليه اسم
(ملك الرب) ..

وفي الواحدة والنصف صباحاً عاد الموكب للقرية مقنياً :
حين يعود (جونى) لداره ..

ملوحين بالمصابيح ، يجرعون الشراب ، واستمر السهر
حتى الصباح ..

★ ★ ★

الجزء الثانى

عصر اليوم التالى ، كانت الإنارة تكهرب القرية كلها .
هناك غريب نبيل كريم المحتد ، قد وصل إلى الخان ، ووقع
باسمه المروع فى السجل :

شيرلوك هولمز ..

انتقلت الأخبار من كوخ لآخر .. أنقوا بأدوات الحفر
واحتشدت البلدة كلها حول مركز الاهتمام . وصاح رجل فى
شمال القرية بالأخبار لـ (بات رايلى) . وشعر (فتلوك
جونز) بالغثيان وقال لنفسه :

« العم (شيرلوك) !! ياله من حظ ! أن يأتى بينما
أنا »

ثم قال لنفسه :

« وما المشكلة ؟ أى واحد يعرفه كما أعرفه أنا ، يفهم
أنه لا يستطيع حل لغز جريمة إلا بعد ما يدبرها أولاً .. ويرتب

الأدلة .. ثم يستأجر شخصاً يرتكبها له (*) .. الآن لن تكون
هناك أدلة فماذا عصاه يفعل ؟ لا .. كل شيء على ما يرام ..
كنت سأجازف بإلغاء الخطة .. لكن لا .. (فلننت باكثر)
سيغادر دنيانا هذا المساء .. »

هنا ظهرت مشكلة أخرى :

- « العم (شيرلوك) سيكون معي هذا المساء .. بينما
أنا بحاجة إلى الانفراد بنفسى فى كوخى حوالى الثامنة
مساء .. كيف أتخلص منه ؟ »

ثم وجد الحل :

- « سنخرج لنزهة .. ثم أتركه دقيقة .. فلن يرى
ما سأفعله .. أفضل شيء تضلل به مخبراً هو أن تكون معه
بينما أنت ترتب كل شيء .. هذا هو الحل الأصوب .. »

فى الآن ذاته كان الطريق أمام الخان مسدوداً بالقروبين
ينتظرون ويأملون فى رؤية الرجل العظيم .. لكنه لم يغادر
حجرته .. بعض الرجال تسللوا إلى خزنة الحقائق ، وثقبوا
فيها ثقباً اختلسوا منها النظر .. هكذا استطاعوا أن يلقوا
نظرة على أعظم مخبر فى العالم ..

(*) طبقاً هذه سخرية (مارك توين) الأمريكى من (هولمز) رمز الذكاء
البريطانى .. وكما سنرى يقوم بـ (بهلته) بعنف فى هذه القصة ..

كان يجلس هناك .. ليس خرافة .. ليس ظلاً .. بل هو
حقيقى حى .. مادة مجسمة .. تكاد تلمسه ..

وقال (فيرجسون) :

- « انظر لهذا الرأس ! بحق السماء هذا رأس فعلاً ! »

وقال الحداد :

- « وشحوبه ! يأتى من التفكير .. من هنا يأتى ! الحمقى
من أمثالنا لا يعرفون معنى كلمة تفكير أصلاً .. »

- « وهذه التقطية .. هذا هو التفكير العميق .. تحت ..
تحت .. يأتى من عمق أربعين قامة فى أحشائه .. إنه على
وشك التوصل لشيء ما .. »

- « حتماً .. ولا تنسوا هذا .. انظر لهذه الجدية المخيفة .. »

- « لقد مات أربع مرات من قبل .. ثلاث منها كانت موتاً
طبيعياً .. سمعت أن رائحته رطبة باردة .. كأنه قبر .. »

- « شش .. راقبه ! لقد وضع إبهامه على طرف جبينه
القريب ، وسبابته على الطرف البعيد .. إن تفكيره منهك
جداً ، ولك أن تراهن على هذا بقميصك الآخر .. »

- « الآن هو ينظر للسماء ويمسح شاربه ببطء .. »

- « هل تراه ؟ إنه ينهض .. يبدو أنه لا يجد الدليل ..
لذا .. »

- « انظر له بيتسم ! كالنمر .. لقد وصل إليها يا شباب !
وصل إليها بالتأكيد ! »

- « يجب أن أقول هنا إننى أكره أن أكون الرجل الذى
يبحث عنه .. »

جلس (هولمز) إلى النافذة وظهره للمتلمصين ، وبدأ
يكتب .. فأدار الجواسيس ظهورهم وأشعلوا غلايينهم ليتكلموا
من مخبئهم :

- « يا شباب .. لا فائدة من الكلام .. إن الرجل مذهل .. »

- « أنت لم تقل قط كلمة أحكم يا (ويلز فارجو) ..
وإننى لأتساءل ماذا كان سيفعله لو جاء أمس .. »

- « بالله عليك .. كنا سنرى عملاً علمياً باهراً .. (أرشى)
جيد ولا يرغب أحد فى تهوين شأنه .. لكن موهبته نوع من
موهبة البومة لا أكثر .. لا ذكاء فيها .. ولا يمكن مقارنتها
بهذا الرجل .. كان سيتجه إلى السيدة ويسألها : »

- « مدام .. من فضلك .. لا تتركى ذهنك يشرد .. ما جنس
ابنتك ؟ »

- « أنثى يا سيدى .. »

- « وعمرها ؟ »

- « ستة أعوام يا سيدى .. »

- « أم م م .. صغيرة السن .. ضعيفة .. ميلان .. سينهكها
المشى أكثر من هذا .. سنجد لها على بعد ميلين .. وأساقها ؟ »

- « خمس يا سيدى .. والسادس فى الطريق .. »

- « جميل .. جميل .. »

- « ترون يارفاق .. الرجل يجد الدليل فيما لا نرى نحن
أى معنى له .. ثم سيسألها : »

- « دياتنها ؟ »

- « كاثوليكية يا سيدى .. »

- « جميل .. ناولتني قطعة من غطاء الفراش .. شكرًا ..
من الصوف .. صناعة أجنبية .. هممم .. جميل .. وبعضًا
من غبار الأرض .. »

- « هكذا يا شباب يأخذ هذه الأشياء ويضعها على المنضدة ..
لقد حصل على كل ما يريد من أدلة .. ويروح يرصها على
المنضدة بشكل مختلف فى كل مرة (أنثى) ثم يعيد الترتيب

(ستة) ثم يعيد الترتيب .. (كاثوليكية) .. وبعد قليل يلتمع وجهه بابتسامة كأنه بيت يحترق .. ثم يقول للحشد :

- « اثنان منكما .. خذا مصباح .. اذهبا لـ (إجن بيلي) ..
إن الطفلة هناك .. أما الآخرون فليعودوا لبيوتهم ويناموا ..
تصبحين على خير يا مدام .. تصبحون على خير يا سادة .. »

- « هذه هي طريقته .. فقط العلم .. رجل كهذا لا يمشى
وسط الأشجار ساعة ونصفاً يبحث في الأرض .. »
وجلس الرجال يفكرون راضين عن أنفسهم ..

★ ★ ★

فى الثامنة مساء تلك الليلة كان هناك رجلان يشقان طريقهما قرب كوخ (فلينت باكنر) فى ظلام الغابة . كانا (هولمز) وابن أخيه .

قال (فتلوك) :

- «قف هنا يا عماد .. بينما أهرع إلى الكوخ .. لن أتأخر أكثر من دقيقة ..»

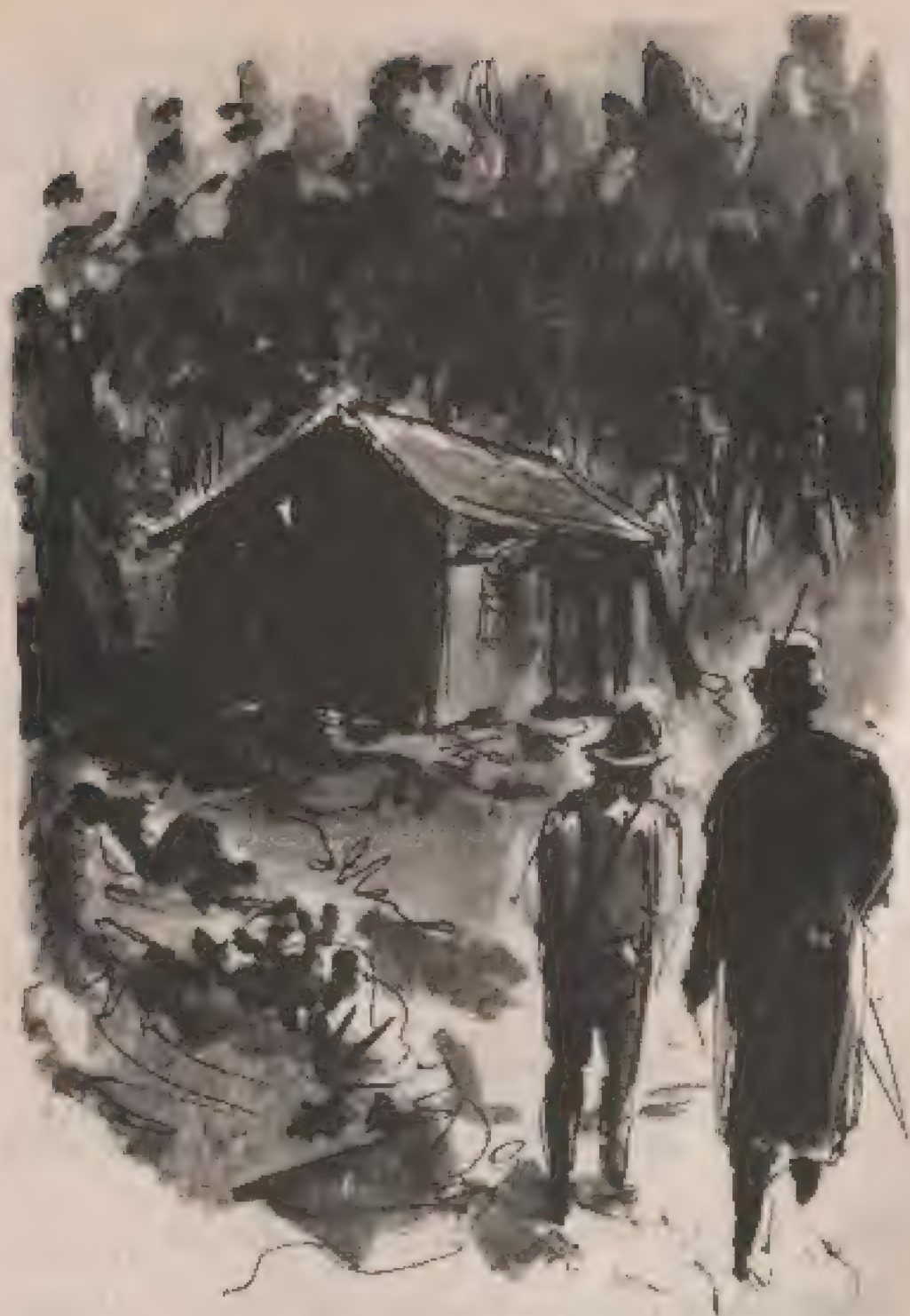
اختفى لدقيقة ثم عاد ، وواصل الاثنان المشى .

فى التاسعة مساء كانا قد عادا إلى الخان . كان هناك حشد من الناس ينتظرون أن تقع عيونهم على الرجل الخارق

للعادة . ارتفعت أصوات التهليل فرد (هولمز) المجاملة بانحناءات ملكية .. وقال (فتلوك) للمجتمعين :

- «إن لدى العم (شرلوك) بعض أعمال يأسادة .. لكنه

سيعود فى الواحدة أو منتصف الليل ويأمل لو بقى بعضكم كى يشاركه الشراب ..»



في الثامنة مساء تلك الليلة كان هناك رجلان يشقان طريقهما
قرب كوخ (فلينت باكنر) في ظلام الغابة ..

صاح (فيرجسون) :

- « بحق السماء إن هذا الرجل ذوق يارجال .. ثلاث
تهليلات لأعظم رجل عاش على الأرض .. هيب هيب
هيب !! »

- « مرحى .. مرحى .. مرحى .. أيها النمر !! »
واهتز المبنى بصوت الهتاف ..

وفى الطابق العلوى وبخ (هولمز) ابن أخيه برفق
قائلاً :

- « لم ورطتني فى هذا الارتباط ؟ »

- « أحسبك ترغب فى الشعبية يا عمى .. إنهم يحبونك لو لم
تدعهم إلى الشراب سوف يعتبرونك صعلوكا .. ثم إنك قلت
إن لديك من أخبار الوطن ما يكفى ليشغلنا طيلة الليل .. »

ظل وعمه يتكلمان ثلاث ساعات كاملة .. ثم عند منتصف
الليل ، نزل (فتوك) إلى الظلام ، ووقف ينتظر .. بعد خمس
دقائق خرج (باكنز) مسرعاً من غرفة البلياردو ..

قال الفتى لنفسه :

- « قد ظفرت به ! »

وقال للظل المبتعد :

- « وداعاً للأبد .. يا (فلينيت باكنر) .. أنت شتمت أُمى ..
ليكن .. لقد انتهى الأمر الآن .. أنت تخطو خطواتك الأخيرة
يا صديقى .. »

وعاد للخان ، وقال لنفسه :

- « حتى الواحدة صباحاً هناك وقت أمضيه مع الشباب ..
هذا مفيد كحجة غياب .. »

وعاد مع (هولمز) إلى غرفة البلياردو المليئة بوجوه متلهفة
معجبة .. طلب الضيف المشروبات وبدأ المرح . وسرعان
ما تهشم الثلج ، وبدأ الغناء ..

وفى الواحدة وست دقائق كان الحفل فى ذروته .. حين ..
يوم !!!

ساد الصمت .. ثم زال السحر واندفع الرجال إلى الباب :

- « شئ ما انفجر .. »

واندفع القوم إلى الوادى .. قطعوا ميلاً فى دقائق .. وفى ضوء
المصابيح وجدوا أرض كوخ (فلينيت باكنر) القذرة .. لكن
الكوخ ذاته لم يكن هناك .. لا علامة من أى نوع على وجود
(فلينيت) ذاته ..

ثم صاح أحدهم :

- « هو هنا .. »

بالتفعل على بعد خمسين ياردة ، وجدوا كتلة بلا حياة تمثله ..

هنا احتشد القوم حول مركز الاهتمام (شيرلوك هولمز) ..
وقف عمال المناجم محيطين بموقع الجريمة .. ووسط هذا
الجمع وقف الرجل الخارق للطبيعة وابن أخيه بجواره يحمل
له مصباحاً . راح يأخذ قياس الكوخ بشريط .. راح يقيس ارتفاع
الأشجار .. أخذ عينات من التربة بجفت صغير .. وحدد إحداثيات
المكان باليوصلة ، ثم سجل الوقت (طبقاً للمحيط الهادى)
بساعته ثم صححه ليعرف الوقت المحلى . مشى من الكوخ
إلى الجثة وصحح الاختلاف المد جذرى . وحدد الارتفاع
وحرارة الجو .

فى النهاية قال وهو ينحنى انحناءة فخيمة :

- « لقد انتهيت .. فهلا عدنا يا سادة ؟ »

ثم تقدم الجمع إلى الخان ، بينما الناس يمشون وراءه
شاعرين باتبهار من هذا الرجل الخارق .. وراحوا يتساءلون
عمن ألف هذه المأساة التى رأوها الآن .

قال (فيرجسون) :

- « رباہ ! لكن من حسن طالعنا أن هذا الرجل معنا الآن
يا شباب .. »

قال (هام ساندوتش) :

- « هذا حدث القرن .. لسوف يتحدث العالم كله عن هذا ،
ولكم أن تأخذوا كلمتى .. هذا أفضل حظ لمصكر مستجد ..
سوف ترتفع أسعار مناجمنا .. »

- « يا جدهان .. أنا لست نادما على أنه لم يكن هنا لإنقاذ
الطفلة .. هذا شيء أكبر وأهم وأكثر علمية وثقافة .. »

- « لو كان (أرشى) هنا لتعلم شيئا من طريقة عمل
الرجل .. لكنه توارى بين الأشجار .. »

- « (أرشى) صغير السن .. سيتعلم أفضل فى يوم من
تلك الأيام »

راح الرجال يخمنون من فعلها لكن من دون جدوى .. كان
(هليار) الصغير هو الوحيد ذا العلاقة الحميمة مع (باكنر) ..
صحيح أن (باكنر) كان مكروها لكن ليس إلى حد أن يقتله
أى رجل ..

كان هناك اسم واحد على لسان الجميع من البداية ، لكن
لم يلفظه أحد إلا متأخراً جداً ، وكان (رايلي) هو من
لفظه : (فتلوك جونز) ..

- « نعم .. كلنا فكر في الشيء ذاته لأن له مليون حق
كى يقتل (فلينت باكنر) .. بل كان هذا من واجبه . لكن
هناك مشكلتين : أولاً ليس لديه البارود .. ثانياً : لم يكن
قرب مكان الحادث .. »

قال (فيرجسون) :

- « كان في غرفة البلياردو حين وقع الحادث .. »
- « الأمر كذا .. وهذا من حسن حظه .. كنا سنتهمه في
دقيقة لولا هذا .. »

تم إخلاء قاعة طعام الخان من كل شيء إلا من منضدة
من خشب الصنوبر . بينما جلس (هولمز) فى جلال
ومهابة على مقعد .. ووقف القوم وتكاثف الدخان ..

رفع الرجل الخارق يده طلباً لمزيد من الصمت ، ثم باختصار
ألغى سؤالاً تلو الآخر ، وعلق على الأجوبة بـ (م م م) ..
وهزات رأس .. من ثم عرف كل شيء عن (فلينت) .. ثم
وضع الأدلة على المنضدة وقال :

- « لدينا خط الطول وخط العرض ، وقد تم تصحيحها
مغناطيسياً .. هذا يحدد لنا بدقة المأساة .. لدينا الارتفاع
والحرارة ودرجة الرطوبة .. وهذه أشياء مهمة لأنها تحدد
لنا بدقة تأثير الطقس على مزاج القاتل فى ليلة الجريمة .. »

سادت المكان علامات الإعجاب :

- « بحق القديس (جورج) .. إن الرجل لعميق .. »

- « والآن نسأل الشهود الصامتين .. لدينا حقيقة فارغة ..
ماذا تقول ؟ تقول إن السرقة هى الدافع لا الانتقام .. ماذا تقول

أيضاً ؟ تقول إن الجاني محدود الذكاء .. ذو ذكاء مُتدنٍ .. لأن
أى رجل متوسط الذكاء ما كان ليسرق (باكنر) الذى لم
يشتهر قط بحيازة مال .. لكن هل الجاني غريب ؟ فلتتكلم الحقيقة
ثانية .. هناك هذه القطعة فيها .. افحصوها .. أنت وأنت ..
ثم أعيدوها لى من فضلكم .. إنها قطعة من الكوارتز ..
وليس هناك سوى عرق واحد فى هذا الخليج ينتج هذا النوع
من الكوارتز .. وأنا لا أراه يوماً بعيداً حين تنهمر الثروات
على المائتى عامل فى هذا المعدن النفيس .. »

ساد المرح القاعة وراح كل واحد يصافح جاره والدموع
فى عينيه .

عاد (هولمز) يقول :

- « الآن نرى ثلاث حقائق : الجاني كان محدود الذكاء ..
ولم يكن غريباً .. وغرضه هو السرقة .. الآن أنا أحمل فى
يدى جزءاً من فتيل تفوح منه رائحة الحريق .. ما هى
شهادته ؟ نستنتج من هذا أن الجاني عامل مناجم ..
ونستنتج أيضاً أن القتل تم بالتفجير . وأن المتفجرات كانت
جوار الكوخ قرب الطريق .. وفى يدى الآن عود ثقاب من
الطراز السويدي الذى يشتعل حين تحكه فى العلبة .. وجدته
على بعد ستمائة قدم من الكوخ .. معنى هذا أن الفتيل

اشتعل من هناك .. وبم يخبرنا أيضًا ؟ أن الجاني كان أعسر ..
ليس بوسعى تفسير هذا ياسادة .. إن العلامات طفيفة
بحيث لا يقدر إلا المران الطويل والخبرة على تفسيرها ..
لكننى أؤكد لكم هذا .. وأنتم تعرفون من المجالات البوليسية
أن كل سفاح أعسر .. »

قال (هام ساتدوتش) وهو يضرب فخذه :

- « بحق (جاكسون) هذا صحيح .. فقتلومونى لو كنت
خمنت هذا من قبل .. »

وقال الرجال :

- « انظروا لعينيه ! ما من أحد يقدر على الفرار منه ! »

قال (هولمز) :

- « الآن قطعة الخشب هذه تخبرنا أن الجاني لم يفر ..
قطعة الخشب هذه أصابته ودمه عليها .. »

ثم أظلم وجهه وأشار إلى اتجاه معين :

- « هاهو ذا السفاح ! »

للحظة تصلب الجميع ثم هتف عشرون صوتًا :

- « (سامى هيليار) ؟ لا .. ليس هو .. هذا حمق .. »

- « لا تتعجلوا يا سادة .. لاحظوا أن الجرح فوق حاجبيه .. »

شحب وجه (هيليار) وراح يتوسل للناس أن يصدقوه ،
ويركض يمينا ويساراً .. ومد يده لـ (هولمز) وراح يتوسل :

- « لم أفعل .. لم أفعل .. لقد جرحت في جبهتي حين .. »

صاح (هولمز) :

- « اعتقله يا كونستابل .. فسوف أعلن أمر القبض عليه .. »

تحرك الكونستابل للأمام متردداً .. ثم توقف .. بينما
صاح (هيليار) :

- « (أرشى) .. أنقذنى .. قل لهم كيف أصابنى هذا

الجرح .. إن هذا الخبر سيقتل أمى .. »

تقدم (ستيلمان) إلى الأمام وقال :

- « نعم سأنقذك .. لا تخف .. لا تهتموا بسبب الجرح ،

فهو لا علاقة له بهذه القصة .. »

ثم نظر إلى الجمع وقال :

- « سأسأل (توم جفريس) أن يقف عند هذا الباب ،

والكونستابل (هاريس) عند هذا الباب .. وسأطلب ألا يسمح

لأحد بالخروج من هنا .. »

- « كلامك نفذ .. استمر .. »

.. « إن الجاني هنا وسوف تعرفونه حالاً .. والآن أحكى لكم المأساة كلها من بدايتها .. لم يكن الدافع هو السطو بل الانتقام .. لم يكن القاتل محدود الذكاء .. لم يتعد ستمائة قدم .. لم يضرب في وجهه بقطعة خشب .. ولم يحضر معه حقيبة .. ولم يكن أعسر .. وباستثناء هذه الأخطاء النافهة ، فإن ضيفنا المرموق كان على حق تماماً .. »

لم يغير الضيف جلسته الهادئة على حين واصل (ستيلمان) :

– « بل إن لدى شهوداً .. »

ثم رفع قطعة من السلك وقال :

– « هناك طبقة ناعمة من شحم الحيوان حولها ، وشمعة احترق نصفها وعليها علامات .. سأخبركم حالاً أين وجدت هذه الأشياء .. سأدخل الآن عن وضع الأدلة معاً وكل الألعاب المسرحية لمهنة المخبرين .. وأخبركم ببساطة كيف حدث هذا الشيء المؤسف .. »

ثم صمت كي يترك تأثيراً .. وكى يصل التركيز والانتباه إلى الذروة .. ثم أردف :

- « لقد درس السفاح خطته بغاية .. وكانت خطة محكمة تدل على عقل عبقري .. فى البداية وضع علامات على شمعة على مسافة بوصات .. ثم أشعلها وقدر زمن اشتعالها .. فوجد أن احتراق أربع بوصات منها يحتاج إلى ثلاث ساعات .. لقد جربت هذا بنفسى من نصف ساعة ..

» بعد هذا وضع القاتل الشمعة فى ماسك شمعة معدنى ، وعند علامة الخمس ساعات صنع فى الشمعة ثقباً بسلك ساخن .. هذا هو السلك الذى رأيتموه وعليه الشمع ..

» بكثير من الجهد اخترق الأحرار حول كوخ (باكنر) ومعه برميل دقيق فارغ .. وفى قاعة ثبت حامل الشمعة .. ثم قاس نحو 35 قدماً من الفتيل ، وهى مسافة البرميل من الكوخ .. ثم إنه صنع ثقباً فى جانب البرميل .. هكذا صار أحد طرفى الفتيل فى كوخ (باكنر) والآخر فى الثقب فى الشمعة .. وقد تم التوقيت ليشتعل فى الواحدة صباحاً .. بشرط أن تشتعل الشمعة فى الثامنة مساء .. وبشرط أن يكون هناك بارود فى الكوخ يتصل بنهاية الفتيل ..

» يا شباب .. البرميل هناك بين الأشجار وبقايا الشمعة فيه .. رأيت كل هذا منذ ساعة بينما الأستاذ هنا يجمع أدلة لا علاقة لها بالقصة .. »

ثم صمت فتتفس الناس بعرق .. وتحربت العضلات مهللة :

- « لهذا كان فى الأحراش .. انظروا له .. إنه ليس
أحمق يا أولاد .. »

هنا قاطعه الرجل الخارق :

- « لقد ظفرتنا بقصة خيالية جميلة .. جميلة جداً يا سادة ..
الآن هل لى أن أسأل هذا الشاب سؤالاً أو اثنين .. »

قال (فيرجسون) :

- « أعتقد أنه سيوقع به الآن .. »

قال (هولمز) :

- « تعال نتفحص هذه القصة الخيالية بطريقة منظمة ..
نربط دليلاً بدليل فى زحف ثابت لا يتقهقر ولا يعتريه الندم
نحو قلعة الخطأ المبهرجة هذه .. مصنع الأحلام لخيال
بلاخبرة .. لنبدأ يا سيدى أسألك .. هل تفترض أن هذه
الشمعة أشعلت فى الثامنة مساء أمس .. »

- « نعم يا سيدى .. حوالى الثامنة .. »

- « هل يمكنك أن تقول الثامنة بدقة ؟ »

- « لا .. لا أستطيع أن أتكلم بهذه الدقة .. »

- « حسن .. لو أن أحداً مشى هناك فى هذا الوقت لكان
محتماً أن يقبض على القاتل .. ألا ترى هذا ؟ »

- « نعم .. أعتقد هذا .. »

- « شكراً لك .. هذا كل شيء بالنسبة للحظة الحاضرة .. »

قال (ستيلمان) :

- « أنا كنت هناك فى الثامنة والنصف ، لكنى لم ألق
السفاح .. لكنى أعرف أنه فى هذه الحجرة .. وأريد منكم ..
جميعاً أن تمرؤا أمامى حتى أستطيع أن أرى أقدامكم .. »
امتلاً الجو بالإثارة .. وبدأ تنفيذ الأمر ..

اتحنى (ستيلمان) وراح ينظر لأسفل ، محملاً فى كل
قدمين .. مر به خمسون رجلاً بلا نتيجة .. ستون ..
سبعون .. بدأ الأمر يبدو سخيلاً ، وقال الضيف
فى تهكم :

- « يبدو أن السفاحين نادرو الوجود هذه الليلة .. »

- بدأ الجميع يرون ما فى الموقف من سخريه .. وبدأ من
يتقدمون لعرض أقدامهم يرقصون فى حركات ضاحكة ..
فجأة أمسك (ستيلمان) جبينه وهتف :

- « هذا هو السفاح ! »

صاح الناس :

- « رياه !! (فتلوك جونز) ؟ »

فى ذروة الصخب رفع الضيف يده أمرًا بالصمت . أدت شخصيته الكاسحة إلى أن يسود الصمت المكان .. ووسط السكون اللاهث الذى عم المكان ، تكلم الضيف بكبرياء قائلاً :

- « هذا خطر .. إنه يحكم حياة بريئة .. بريئة فوق الشبهات .. اسمعونى أتكم .. انظروا كيف أن حقيقة بسيطة ستبدد هذه الكذبة غير المسنولة .. يا سادة هذا الفتى لم يفارق عيني طيلة ليلة أمس .. »

كان تأثير هذا قويًا ، ونظر الناس إلى (ستيلمان) متسائلين .. فقال :

- « كنت أعرف أن معه واحدًا آخر ! »

واقترب من الضيف ونظر إلى حذائه وقال :

- « أنت كنت معه .. كنت قريبًا منه حين أشعل الشمعة التى فجرت البارود .. بل واستعمل علبة ثقابك .. »

فتح الضيف فمه ليتكلم فلم تخرج الكلمات ..

- « هذا .. ه .. هذا جنون .. »

قال الفتى :

- « عود الثقب الذى وجدته أنا فى البرميل هو ثقب مكسو
بالشمع من نوع لا يمكن أن تجده فى القرية .. وأنا مستعد
لتفتيشي للتأكد من أننى لست من وضعه هناك . فهل أنت مستعد ؟ »

راح (هولمز) يفتش فى جيبه .. ثم شحب وجهه وقال :
- « أنا أرفض أن أفتش ! »

ساد الصمت لكن كل واحد راح يهمس فى أذن الآخر :
- « هذا يوضح الأمور .. لقد صار لقمة سائغة لـ (آرشى) . »
ماذا نفعل الآن ؟ ما من أحد يعرف .. لقد كان موقفاً
مريباً .. والأهم أنه جاء فجأة فلم تتحملة هذه العقول التى
لم تتعود المفاجآت ..

تقاربت الرعوس وراحوا يتناقشون .. اقترح البعض أن
يتم توجيه الشكر للقاتل على الخلاص من (باكندر) مع
إطلاق سراحه .. لكن الأكثر حكمة قالوا إن العقول
المتفطرة فى الشرق ستعتبر هذه فضيحة .. ولسوف
يسخر الجميع من حماقتهم .. أخيراً انتصر رأى الأكثر
حكمة وأعلنوا أن (فتلوك) سوف يسجن ويحاكم ..

كان الناس سعداء لانتهاء هذا ؛ لأنهم كانوا متلهفين
للذهاب إلى مسرح الجريمة ليروا ما إذا كان اليرميل هناك
أم لا .. لكن المفاجآت لم تنته بعد ..

كان (فتلوك) طيلة الوقت يبكى في صمت ، وفجأة انفجر
صائحاً في قنوط :

- « لا ! لا جدوى ! لن أذهب للسجن .. لا أريد محاكمة ..
لقد نلت ما أردت من نحس وتعاسة .. اشفقوني الآن
وأريحوني .. فهذه هي النتيجة على كل حال .. لقد حكى
القصة كأنه كان معي .. ولا أعرف كيف استنتج هذا كله ..
لقد قتل الرجل ، وكان أي واحد منكم سيفعل الشيء ذاته
لو أنه عومل ككلب .. من دون صديق يعينه .. »

قال (هام ساندوتش) :

- « وخدمته بإخلاص برغم هذا .. »

هنا جاء صوت يسأل :

- « هل عرف عمك بما أتويه ؟ »

- « لا .. »

- « هل أعطاك الثقب ؟ »

- « نعم ! لكنه لم يدر بما أتويه .. »

- « وكيف جازفت بهذا كله وهو معك ؟ أنت تعرف أنه
مخبر .. »

تردد الفتى وعبث في أزراره بشكل مرتبك ، ثم قال
بخجل :

- « أنا أعرف المخبرين .. والطريقة المثلى لتجعلهم
لا يكتشفون شيئاً ، هي أن تفعل الشيء وأنت معهم .. »
دوى الضحك محيياً هذه الحكمة المحلية ، لكن هذا لم
يخفف من ارتباك الفتى ..

★ ★ ★

من خطاب لمرز (ستيلمان) لا يحمل تاريخاً إلا كلمة
(الثلاثاء) :

لقد حبسوا (فتلوك جونز) فى كوخ خال .. وتركوه
- بانتظار المحاكمة .

فى اليوم التالى توجه عدد منا مع (هيليار) - على
سبيل الصداقة - وساعدناه على دفن قريبه ..

أنهينا عملنا وهنا مر جوارنا رجل غريب منك مغبر يحمل
حقيبة ، ورأسه مطأطأ .. هنا تعرفت الراححة ! الراححة التى
طاردتها عبر الكرة الأرضية .. كانت كراححة الجنة بالنسبة
لآمالى المتلاشية ..

وفى لحظة كنت بجواره وعلى كتفه وضعت يداً رفيقة ..
سقط على الأرض كأنما ضربه البرق ، وإذ جاء الشباب
يركضون ركع على ركبتيه وضم يدين متوسلتين ، ومن بين
كفين مرتجفتين توصل إلى أن أكف عن ملاحقته وقال :

- « لقد طاردتني عبر العالم يا (شيرلوك هولمز) ..
لكن الله يشهد على أننى لم أؤذ إنساناً قط .. »



وفي لحظة كنت بجواراه وعلى كتفه وضعت يداً رفيقة .. سقط
على الأرض كأنما ضربه البرق ..

نظرة لعينيه أخبرت أن الرجل مجنون .. هذه نتيجة
عملى يا أماه ! إن سكرات موتك ربما تريك يوماً ما شعرت
به فى هذه اللحظة ..

ساعده الشباب على النهوض ، وشعرنا بالشفقة من أجله ..
وقلنا له أرق وأفضل الأشياء .. وقلت له أن يُبشر ولا يخاف ..
لقد صار بين أصدقاء الآن . وسوف يغنون به .. وسوف
يشنقون أى رجل يحاول إيذاءه ..

إن عمال المناجم يكونون كالأمهات حين تحرك الجانب
الجنوبى فى قلوبهم ويصيرون أطفالاً مستهترين غير
متعقلين حين تحرك الجانب الآخر من قلوبهم . وقد جربوا
كل حيلة لديهم كى يسعدوا قلب الغريب بلا جدوى ، إلى أن
قال رجل (ويلز فارجو) :

- « إن من يبشر قلبك هو (شيرلوك هولمز) .. فلا تقلق .. »

- « ولماذا ! »

- « لأنه مات من جديد ! »

- « مات ؟ لا تمزح مع باتس مثلى .. هل هذا الرجل

يحكى الصدق ؟ »

قال الرجال بصوت واحد :

- « لقد شفقوه الأسبوع العاضى فى (سان برناردينو) ..
بينما كان يبحث عنك .. حسبوه رجلاً آخر .. إنهم آسفون
لكنهم لا يستطيعون تصحيح الخطأ الآن .. »

وقال (هام ساندوتش) بلهجة من شارك فى الأمر :

- « هم يبنون له نصباً تذكاريًا الآن .. »

أخذ (جيمس ووكر) شهيقاً عميقاً ، ولم يقل شيئاً لكن
عينيه فقدتا ما فيهما من توحش .. واسترخى وجهه بعض
الشيء .. وقد أخذناه لكوخنا وقدمنا له أفضل عشاء
استطعنا طهوه ..

ثم قدمت له أنا و (هليار) ثياباً جديدة تماماً .. حتى
صنعنا منه سيداً مسناً .. (مسن) هى الكلمة المناسبة ..
تناسب ذبوله وبياض شعره .. برغم أنه مازال فى منتصف
العمر لو حسبت الأمر بالسنين ..

جلسنا ندخن ونتكلم ، وحين انتهى من طعامه .. عاد له
صوته .. وبدأ يحكى قصته بكامل إرادته . سأحاول أن
أحكىها قدر الإمكان :

قصة الرجل الخطأ

بدأ الأمر كذا : كنت فى (دنفر) .. فجأة تلقيت مذكرة
تتذرنى بوجوب الرحيل ، وإلا افتضح أمرى بصدد ارتكابى
جريمة مريعة منذ سنوات طويلة فى الشرق ..

كنت أعرف قصة هذه الجريمة ، لكنى لم أقرأها .. كان
هذا ابن عم لى يحمل الاسم ذاته .. ماذا أفعل ؟ كان الرعب
يبلبل عقلى ولم أدر .. والوقت المسموح لى به قصيراً جداً
لا يتجاوز يوماً .. فلو أذيع الخبر لشنقونى من دون
محاكمة .. وكالعادة حين يعرفون أنهم أخطئوا سيعتذرون
كما حدث مع مستر (هولمز) ..

لذا قررت أن أبيع ما أملك وأفر حتى ينتهى الموضوع ..
فررت فى الليل وعشت فى الجبال باسم مستعار ..

أزداد قلقى .. وصرت أشعر بأننى مراقب طيلة الوقت ، وفى
النهاية كان على أن أستسلم ..

كنت مرهقاً .. وصارت الشكوك تطاردنى فى الليل والنهار ..
ثم جاء الأسوأ .. ذات ليلة قالت الهمسات لى :

- « لن تنجح لأننا لا نراه .. من ثم لن نستطيع تمييزه
وسط الزحام .. »

فقال واحد :

- « إذن نطلب (شيرلوك هولمز) .. يمكنه أن يصل خلال
اثني عشر يوماً .. »

تحطم قلبي لأني قرأت عن هذا الرجل .. وعرفت معنى
أن يقتفى أثرى .. بطاقته التي لا تهمد ..

لقد أرسلت الأرواح تستدعيه ، وكان على أن أفر في
الظلام .. ليس معي من متاع إلا الحقيقية التي وضعت فيها
مالي .. وكان الرجل قد وصل واستطاع أن يتتبع أثرى ..

لقد ظل يلاحقني عبر العالم ثلاثة أعوام ونصف عام ..
في المحيط الهادئ .. في أستراليا .. في الهند .. لكنني كنت
أرى اسمه دوماً في سجلات الفنادق ، وكان ينسى ويكتبه
ثم يشطبه ويكتب فوقه اسماً آخر ..

لقد منحني أسوأ أوقات حياتي ، لكنني أقسم لكم إنني لم
امسه بسوء لا هو ولا أي رجل سواه ..

كانت هذه نهاية قصة الرجل ، وقد أثرت كثيراً في
الشباب .. وبالنسبة لي كانت كل كلمة تحرق ثقباً في قلبي
إذ تصطدم به ..

قررنا أن يبيت الرجل معنا ويكون ضيف (هيليار) .. أما عن
نفسى فستنتظر حتى يستريح وينال ما يحتاج إليه من تغذية ،
ثم أخذه على (دنفر) كي أعيد انتعاش أحواله العالية .

صافح الشباب الرجل مصافحة عمال المناجم الحارة التى
تهشم العظام ، ثم تفرقوا لينشروا الخبر .

وعند الفجر نادانا (هام ساندوتش) ورجل (ويلز فارجو)
وقالا :

- « أخبر هذا الغريب والطريقة التى عومل بها قد انتشرت ..
وقد قررنا أن نشنق الأستاذ .. لكن الكونستابل (هاريس)
أحمق وقد اتصل بالشريف .. هلموا ! »

بدأنا الجرى .. لكننى تمنيت أن يصل الشريف فى الوقت
المناسب .. إذ شعرت برغبة واهية داخلى فى أن يشنق
(هولمز) عقاباً له على خطاياى أنا .. لقد سمعت عن
الشريف لكننى سألت على سبيل الاطمئنان :

- « هل يمكنه أن يوقف حشداً ؟ »

- « يوقف حشداً ؟ تسأل هل يستطيع (جاك فيرفاكس) أن
يوقف حشداً ؟ أنت تجعلنى أبتسم .. الخارج السابق على القانون
الذى قتل تسعة عشر رجلاً .. هل يستطيع ؟ »

كانت الصرخات تتعالى من بعيد ، وازدادت قوة إذ دنونا ..
على شكل موجات تتعالى .. الآن صارت الضوضاء مما
يصم الآذان .. لقد أمسك بعض الفتوات من عصاية (دالى)
بـ (هولمز) لكنه أكثر الرجال هدوءاً فى المكان .. فقط
ابتسامة ازدياء على شفتيه ، ولو كان هناك أى خوف من
الموت فى قلبه البريطانى ، فإن قوة عزمته سيطرت عليه ..

قال أحد رجال عصاية (دالى) :

- « هلموا للتصويت يا رجال .. شئق أم رمى بالرصاص ؟ »

صاح أحد رفاقه :

- « لا هذا ولا ذاك .. سيعود للحياة بعد أسبوع كالعادة ..
الحرق هو الحل الأمثل له .. »

وافق الجميع على هذا ، واحتشدوا حول للسجين صائحين :

- « نعم .. النار .. النار هى تذكرته للعالم الآخر ! »

وجروه إلى مربوط الخيول وقيدوه ، وكدسوا حوله الحطب
حتى الخصر .. لكن الوجه القوي لم يشحب ..

- « هاتوا ثقاباً .. ثقاباً ! »

أشعل الرجل ثقاباً وداراه من الريح بيده .. ثم وضعه
تحت قطعة من الخشب .. ساد صمت رهيب .. لقد اشتعلت
قطعة الخشب لدقيقة .. هنا سمعت صوت حوافر من بعيد ..

ازداد الصوت وضوحاً .. ازداد تميزاً لكن لم يبد أن أحداً
من الواقفين قد سمعه .

انطفأ النّقاب .. فأشعل الرجل آخر ، ومن جديد ارتفع اللهب ،
لكنه في هذه المرة أمسك بالخشب .. ووقف الجلاذ يراقب
المشهد والنّقاب ما زال في يده ..

الآن صار صوت الحوافر كالرعد .. وفي اللحظة التالية
دوت صرخة :

- « الشريف !! »

وسرعان ما وصل ، وقد وقف حصانه على قائمتيه
الخلفيتين وهتف :

- « تراجعوا أيها الحثالة !! »

نفذ الجميع إلقائهم ، الذي وقف في ثبات ويده على
مسدسه .. فصاح به الشريف :

- « أنزل يدك .. اركل النار لتطفئها .. وحرر الغريب !! »

أطاع الرجل .. ثم ألقى الشريف خطبة على ظهر حصانه ..
ولم يحاول إضفاء أى بريق على كلماته بل قالها بشكل مدروس
محكم :

- « أنتم مجموعة لطيفة .. إذ تأتون مع (شادبلى هجنز) هذا الجبان فاحش القول ، الذى يطلق النار على الناس من ظهورهم ثم يعتبر نفسه (دسبيرادو) .. لو كان هناك شيء أحقره فعلاً فهو الشنق بلا محاكمة .. هذا عمل خال من الرجولة أن أرى مائة رجل على واحد فقط .. مائة جبان من مجتمع جبان بدوره ، وفى تسع وتسعين بالمائة من المرات يكون الشريف جباناً آخر .. »

وصمت قليلاً كأنما يجتر العبارة ويتلذذ بمذاقها على لسانه ، ثم أردف :

- « رياه ! لكم تفزعنى فكرة رجل بالغ جبان يخاف من الجماهير الغاضبة ! »

ونظر إلى الأسير وقال :

- « من أنت أيها الغريب .. وماذا كنت تفعله ؟ »

- « اسمى (شيرلوك هولمز) .. ولم أفعل شيئاً .. »

كان أثر الاسم مذهلاً على الشريف .. تكلم بحرارة وقال إنها لوصمة عار على البلاد أن تحدث فضيحة كهذه تحت علم النجوم والشرائط ، لرجل طبقت شهرته الآفاق .. واستلبت قصصه قلوب القراء فى أرجاء المعمورة ..

اعتذر له بصفته يمثل الولايات المتحدة كلها ، وانحنى
لـ (هولمز) فى رشاقة .. وأعلن أن الكونستابل سيكون
مسنولاً لوضايقه أحد ثانية .. ثم استدار للجمع وقال :

- « عودوا لجحوركم أيها القذرون ! »

وكذا فعلوا .. ثم قال :

- « اتبعنى يا (شادلبى) .. سأتولى قضيتك بنفسى ..
أبقى سلاحك .. فلو جاء اليوم الذى أخشى فيه أن تمشى
ورائى بهذا الشيء معك ، فأنا جبان آخر .. »

ومشى ووراءه (شادلبى) ..

حين عدنا إلى كوخنا ، وقد دنا وقت الإفطار .. سمعنا أن
(فتلوك) قد فر من محبسه فى الليل ..

لم يتأسف أحد لهذا .. دع عمه يبحث عنه لو أراد هذا ..
فالمعسكر لا يبالى بالموضوع ..

★ ★ ★

بعد عشرة أيام

إن (جيمس ووكر) بخير حال الآن ، وعقله يتحسن
كذلك

سأطلق معه إلى (دنفر) صباح غد ..

ملحوظة قصيرة : بينما نحن نتحرك هذا الصباح ، همس
لى (هيليار) :

- « أبق هذه الأخبار بعيدة عن (ووكر) حتى تتأكد من
أنك لن تصيب عقله بأذى ، لقد ارتكبت تلك الجريمة التي
تكلم عنها ، والذي ارتكبها ابن عمه .. لقد دفنا المجرم
الحقيقي .. أتعس رجل منذ قرن كامل .. (فلينت باكنر) ..
اسمه الحقيقي كان (جاكوب فولر) .. »

هكذا ترين يا أماء .. لقد صار زوجك وأبى فى قبره ..
فدعيه يستريح هناك .

مارك توين



حكايات مارك توين

فى القصة الأولى نرى كيف فسدت (هادلبرج) البلدة
التى لا رأس مال لها إلا الشرف .. كيف ؟ .. (مارك توين)
يعرف .. فى القصة الثانية نرى الفتى يطارده أباه عبر
الكرة الأرضية لينتقم .. لماذا ؟ .. (مارك توين) يعرف .

49



العدد القادم
١٩٨٤

الشمع فى مصر ٢٥٠
ومعامله بالفلور الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم